الخصيان والمترجلة في الدولة العربية الاسلامية حتى عام 656هـ/1258م
دراسة في أوضاعهم السياسية والاجتماعية والفكرية

أ.م.د. محمد عبد الله عبد فزع المعموري أ.م.د. يوسف كاظم جغيل الشمري
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة:

مرت الدولة العربية الاسلامية بادوار تاريخية متعددة خضعت خلالها الى مبدأ التاثير والتأثر، سواء أكان هذا التاثير مرتبطا بالماضي او بالمجتمعات المعاصرة التي كانت على احتكاك مباشر عن طريق الفتوحات الاسلامية، او عن طريق التبادل التجاري، وموضوع البحث واحدا من المواضيع ذات العلاقة بموضوع التاثير والتاثر المذكور، والمجتمعات الاسلامية لا تختلف كثيرا عن المجتمعات الاخرى من ناحية الامراض الاجتماعية التي لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات مهما كانت طرق الوقاية، ولكن هناك تباين بين مجتمع وآخر، وموضوع البحث تناول ظواهر اجتماعية مرضية لا ندعي انها كانت متفشية الى حد كبير بحيث غيّر من طبيعة المجتمع الاسلامي، ولكن تناولناه من مبدأ اثبات وجود مثل هذه المظاهر السلبية.

ولا بد من الاشارة هنا الى اهمية الموضوع، والذي يمكن وصفه بانه من المواضيع المسكوت عنها، ولا ندعي تماما بان هذا الموضوع لم يكتب به احد من قبل، ولكن على الاقل يمكن القول بانه ان كتب عنه فان الكتابات التي تناولته قد اشارت اليه ضمنا باشارات طفيفة وقليلة.

تم تقسيم البحث الى مقدمة وثلاثة فصول واستنتاجات وقائمة بثبت المصادر، كان عنوان الفصل الاول هو: الخصاء دراسة تاريخية وتناولنا فيه الخصاء في اللغة والاصطلاح، معرجين على نبذة تاريخية لهذه الظاهرة، والطرق التي تتم فيها العملية، مع اعطاء مقارنة بين الانسان المخصي والحيوان المخصي اذ ان الانعكاس سلبيا على الانسان في الوقت الذي تنعكس ايجابيا على الحيوان.

اما الفصل الثاني فقد وسمناه بعنوان: الاوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية للخصيان في المجتمعات الاسلامية، تناولنا فيه اثر الخصيان السياسي والاجتماعي والفكري في المجتمعات الاسلامية، آخذين بنظر الاعتبار التدرج التاريخي للحوادث المتعلقة بهم.

اما الفصل الثالث فقد ثبتناه بعنوان: الاوضاع السياسية والاجتماعية للمترجلة في المجتمعات الإسلامية، تناولنا فيه اللفظ اللغوي والاصطلاحي للمترجلة، وانواع الترجل الاختياري والاضطراري، او المسموح به (الجائز) والسلبي (المحرم)، متطرقين لنصوص تاريخية عديدة بهذا المجال، واشرنا الى موضوع الغلامية لما له من عوامل مشتركة بنسبة كبيرة مع المترجلة، كما اننا لم نغفل موقف الشرع من هذه الظاهرة، وموقف المجتمع الراصد والنابذ لها.

اعتمد البحث على قائمة كبيرة من المصادر المتنوعة منها: كتب التفسير، الفقه، وكتب التراجم والسير، وكتب التاريخ، وكتب الادب العربي، وكتب الطب، والمعاجم اللغوية والجغرافية، ولم يستغن البحث عن عدد من المراجع الحديثة.

واجهت البحث مجموعة من المشاكل لعل اهمها: صعوبة الحصول على المعلومة ذات العلاقة بموضوع البحث، والتي بطبيعة الحال بحاجة الى جهد مضاعف للتفتيش عن المعلومة التاريخية ذات العلاقة ببطون المصادر المتنوعة، كما ان الكثير من النصوص الموجودة مشحونة بالالفاظ الماجنة والفاحشة، يصعب علينا تثبيتها كاملة فنضطر الى اقتباس جزء من النص، محاولين قدر الامكان إبقاء النص محافظا على معناه الحقيقي، كما ان الكثير من النصوص التي وجدناها ربما ذات علاقة ببعض الرموز المعروفة في المجتمعات الاسلامية، كرجال الدين والسياسة حاولنا ايضا بهذه الحال ان ننقل النص دون الاساءة الى الشخص المعني، تاركين الكلام لما قيل عنه في المصدر الناقل للمعلومة، محاولين جهدنا التعليق

على النصوص وبما يتعلق بعنوان البحث، للخروج بهذا الجهد المتواضع متمنين ان نضيف شيئا مفيدا للمكتبة الإسلامية، ومن الله التوفيق انه نعم المولى والمعين.

الفصل الاول

الخصاء دراسة تاريخية

1- الخصاء في اللغة والاصطلاح.

تناولت المعاجم اللغوية العربية مفردة الخصاء بتعاريف عديدة منها: الخصي: من الفعل خصا والخصيتان هما بيضتا الذكر والخصيّان الجلدتان اللتان فيهما البيضتان[1]، والخصي تأتي بضم الحاء وكسره، وخصاه خصاء أي سل خصيتيه فهو خصي ومخصينج، والخصية من أعضاء التناسل وهاتان خصيتان وخصيانج[2]، وذكر الطريحي[3]: "الخصي الشيخ الفاني الذي لا حاجة له في النساء"، وربما قول الطريحي جاء بخصوص من كبر في السن وأصبح غير قادر على المجامعة وما يدعم قولنا هو ان النص فيه قول: "الشيخ الفاني".

وعرف أيضاً بالقول: "خصيت الفحل خصاء: إذا سللت أنثييه أو قطعهما فهو خصي"[4]، والاخصاء هو سل الخصية، والخصية او البيضة من أعضاء التناسل، والجلدة التي فيها البيضة وهي خصيان، والخصي من سلت خصيتاه ونزعتا، والمخصي هو الخصي[5].

2- المصطلحات المرادفة والقريبة المعنى من الخصاء.

واشارت معاجم اللغة مصطلحات عديدة ذات علاقة وثيقة بمفردة الخصاء وجدنا انه من المهم توضيحها هنا ليتسنى للقارئ التمييز بين الخصاء وهذه المفردات المتداخلة معه اذ ان يأتي بلفظ مرادف هو: خنذ: الخنذيذ: وهو الخصي من الخيل[6]، والخنذيذ على وزن فعليل، وهو من الخيل الخصي والفحل، وقيل الخناذيذ جياد الخيل والخنذيذ كل ضخم من الخيل وغيره خنذيذ، خصياً كان أو غيره[7].

ولفظ الوجئ واحداً من المرادفات ذات العلاقة بالخصاء وتعني: "ان ترض أنثيا الفحل رضاً شديداً يُذهب شهوة الجماع وينتزل في قطع منزلة الخصي. وقيل ان توجأ العروق والخصيتان بحالهما. ووجأ التيس وجأً ووجاء، فهو موجوء ووجئ[8]، إذا دق عروق خصيتيه بين حجرين من غير ان يخرجهما، وقيل: هو ان ترضهما حتى تتفضخا، فيكون شبيهاً بالخصاء... فأن أخرجهما من غير أن يرضهما، فهو الخصاء.."[9]، ويقال للفحل إذا رضت انثياه قد وجئ وجأ فأراد انه يقطع النكاح[10].

يمكن القول من خلال الكلام المتقدم ان ما يسمى خصاءً هو اخراج الخصيتين خارج الجلدة التي تغطيهما، من خلال قطعهما او سلِّهما.

---

(1) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار احياء التراث العربي، قم، 1405هـ، 14/ 229-230.

(2) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، 324/4.

(3) الطريحي، محمد بن علي، مجمع البحرين، تحقيق: احمد الحسيني، ط2، مكتبة نشر التفاهم الاسلامي، 1988م، 61/1.

(4) قلعجي، حميد، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، بيروت، 1988م، 196.

(5) أبو حبيب، د. سعدي، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988، 117.

(6) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط2، مطبعة صدر، دون مكان طبع، 1989م، 244/4.

(7) الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، 564/2.

(8) ابن الأثير، مجد الدين ابو السعادت المبارك، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر احمد الراوي، ومحمود جمعة الطناجي، ط4، 1944م، 152/5.

(9) ابن منظور، لسان العرب، 191/1.

(10) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، 132/1.

وواحدة من المسميات ذات العلاقة بالخصاء هي: الجَبْ: وتعني القطع، والمجبوب: الخصي الذي استؤصل ذكره وخصيتاه وقد جُبَّ جباً[1]، وتأتي كلمة المجبوب بمعنى: الحُصور (بضم الحاء) وهو من لا يأتي النساء، وقد يكون مجبوب مجبوب الذكر والانثيين لعدم توفر آلة النكاح، والحصور تأتي بمعنى الذي لا يأتي النساء وهو قادر على ذلك أما من العِفَّة أو الاجتهاد في إزالة الشهوة[2]، ويسمى ايضا بـ: الممسوح وهو من استؤصل ذكره وخصيتاه ومُسِحتا.

3- الطرق التي يتم فيها الخصاء.

يمكن تعريف الخصاء بشكل موجز بأنه عملية جراحية الغاية منها تعطيل الأعضاء التناسلية كلياً أو جزئياً مع إمكانية الاحتفاظ بالحياة، وليس بالضرورة أن يكون المخصي رقيقاً مملوكاً، بل يمكن أن يكون حراً ويحظى بغاية النكاية والتعذيب، إلا أن الغالب والمعتاد اشتغاله بالرقيق والعبيد ومنذ أقدم العصور.

لا تقتصر عملية الخصاء على عمر معين بل يمكن استخدامه مع الصغار والشيوخ مع ان العمر المفضل والذي يتحقق الهدف المراد منه هو سن قبل البلوغ، إذ لم تظهر بعد علامات الذكورة بشكل واضح.

ونظراً لموقف التشريع الإسلامي من هذه العملية واعتبارها مخالفة صريحة لتعاليم الدين الحنيف فقد احتال المسلمين عليها بعدم مباشرتهم لتلك العملية بأنفسهم فأصبحوا يشترون الخصيان من اليهود والنصارى وربما اعتقدوا انهم تخلصوا من أثم هذه العملية[3].

استخدم الخصائيون طرق عديدة للقيام الخصاء والتي تعطي النتاج ذاته مع اختلاف طرقها، ومن هذه الطرق:

1. أن يقوم الخاصي بمباشرة عملية الخصي عن طريق حديدة (شفرة او موسى) مرهفة ورقيقة وحادة ذات الوقت، يقوم باحمائها بالنار ومن ثم تمريرها على العضو المراد قطعه (سواءً كان – الذكر أو الأنثيين (الخصيتين) أو كلاهما) مع تثبيت المخصي عن طريق ربطة بحبال من أطرافه الأربعة لإتمام خصائه[4].
2. يقوم الخاصي بعملية مسح (قطع أو جَبّ) القضيب والمزودان (الجلد الذي يغطي الخصيتان) معاً مرة واحدة بحديده محماة، أو تشق المزودان وتستخرج البيضتان (الخصيتان) وتُسل، ثم توضع خشبة تحت القضيب ثم يُقَطّ من أصله (يقطع من أصله)[5].

ولابد لنا من ذكر امر مهم هنا وهو ان الخاصي عندما يجري العملية يقوم بوضع مِرْوَدْ رصاص بقدر فتحة البول تدخل بها لسدِّها، تستخرج عندما يريد الخصي التبول ومن ثم تسترجع بعد الانتهاء، ويبقى هذا المِرْوَدْ حتى يشفى المخصي ويلتئم الجرح، والغاية من هذا المرود هو عدم انغلاق فتحة البول عند التئام الجرح[6].

3. ومن طرق الخصاء أن يقوم الخاصي بالشَدِّ والعَصْبْ، والعقد بالخيط الشديد الوتير الشديد الفتل، ويترك حتى يعمل بالحَزِّ شيئاً فشيئاً، فيمنع وصول الغذاء، وما يلبث إلا أن ينقطع ويسقط بعد أيام.
4. وعملية الوجئ واحدة من طرق الخصاء (ربما كان استخدامها مع الحيوانات بشكل اكثر) وهي عملية شد عصب مجامع الخصية من أصل القضيب شداً قوياً حتى تنتفخ وتتورم الخصيتان وتجحظا، فيعمل الخاصي على رضها ووجأها بأن تضرب بصخرة وتُرَضُّ رضاً فعند ذلك يصفها الجاحظ[7] بالقول: "تذبل وتتخسف، وتذوي وتستدق، حتى تذهب قواها

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، 248/1.

[2] الزبيدي، تاج العروس، 144/3.

[3] متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط2، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، 152/2.

[4] الجاحظ، ابو بكر عمرو بن بحر بن عثمان، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1968م، 130/1.

[5] متز، الحضارة العربية الإسلامية، 153/2-154.

[6] المقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1906م، 242-243.

[7] الجاحظ، كتاب الحيوان، 130/1.

وتنسد المجاري إليها، ويسري ذلك الفساد إلى موضع تربية النطفة فيمنعها من أن تكثر أو تَعْذَب أو تَخثَر"، ويمكن ان يكون الوجئ بطريقة أخرى غير طريقة شدّ عَصْب مجامع الخصيتين، وهذه الطريقة هي عملية استخدام السكين بعملية القطع ويقال لها اللكز، إذ ذكر ابن أبن منظور[1] عند الحديث عن اللكز القول التالي: "ووجأه باليد والسكين وجأ... وقد توجأته بيدي... يقال وجأته بالسكين وغيرها وجأ إذ ضربته بها...".

من خلال ما تقدم من النصوص يمكن القول ان الطرق المستخدمة في الخصاء هي طرق بمنتهى البشاعة واللاإنسانية.

وباختلاف الطرق المذكورة والوسائل المستخدمة كانت الغاية منها هو تعطيل عملية الإنجاب سواء عن طريق الجب للذكر والانثيين، أو للأنثيين فقط، ولكن توجد طريقة أخرى قد تحدث وتتحقق دون انتباه الخاصي (القائم بالعملية) أو أنه ينتبه بعد فوات الوقت فلا يعمل على استدراك الخلل الحاصل فيرتكه كما هو وهذه العملية سميت باسم: (خصاء الجلب) وهي من القساوة ما تزيد على ما ذكرناه اذ وصف هذا النوع من الخصاء لما له من القسوة بالقول: "... وحسبك بالخصاء مثلة! وحسبك بصنيع الخاصي قسوة !..."[2].

5. خصاء الجلب: اما خصاء الجلب فهو من القسوة الجسدية والنفسية ما يفوق القول السابق خصوصاً ما يتعلق بالوضع الاجتماعي والنفسي فهو أكثر صعوبة من الخصي، إذ إنه من خلال ما سيأتي من توضيح حول هذه الطريقة بأن المخصي لا يُحسب على الخصيان ولا على الفحول الاعتياديين واليك مفادها:

وخصاء الجلب هو: "عملية جب [قطع] القضيب وامتلاخ الخصيتين اللتين يمكن أن تتقلص أحداها من شدة الفزع الذي تطول مدته... فعند ذلك لا يحفل بغوث المتقلص، ويقطع ما ظهر له، فأن برئ مجبوب القضيب واذا بيضة واحدة، فقد تركه لا امرأة ولا رجلاً ولا خصياً... فلا يكون مع الخصيان مقرباً ومكرماً... ولا هو إذا رمي في الفحول كان له ما للفحول من لذة غشيان النساء... فلم يزل عند الفحول مستضعفاً محتقراً، وعند الخصيان مجرحاً مطرحاً [محرجاً مطردا] ـ فلا اعلم قتلة إذا كان القتل قتلة صريحة مريحة ـ إلا أصغر عند الله تعالى، وأسهل على هذا المظلوم من طول التعذيب"[3].

النص السابق يوضح بشكل صريح فظاعة وقسوة هذا العمل تجاه الجنس البشري ومدى الظلم الذي يتعرض له صنف من البشر الذي من حقه العيش في الحياة كريما يمارس نشاطاته الاجتماعية والإنسانية ورغباته النفسية والجنسية، وقد وصف هذا النوع من الخصاء بالقول: "... فللخاصي عند ذلك ظلم لا يفي به ظلم، وظلم لا يربى على كل ظلم"[4]، وقال الجاحظ[5] أيضاً: "وحسبك بالخصاء مثلة! وحسبك بصنيع الخاصي قسوة...".

3- التغييرات التي تطرأ على الإنسان جراء عملية الخصاء.

اثرت ظاهرة الخصاء تاثيرا سلبيا واضحا على الانسان الذي يتعرض لها، والذي بدوره تطرأ عليه تغييرات واضحة، يمكن تقسيمها الى قسمين هما:

3- أ. التغيير البدني والنفسي عند الخصي.

يعد الخصاء واحداً من العوامل المهمة التي تساعد على إحداث تغييرات واضحة وصريحة عند الرجل المخصي، ومن هذه التغييرات تغيير على المستوى الجسمي والنفسي والانفعالي، هو انه عند قطع الخصيتين يحصل لديه:

(1) لسان العرب، 1/190-191.
(2) الجاحظ، كتاب الحيوان، 1/124.
(3) المصدر نفسه، 1/129-130.
(4) الجاحظ، كتاب الحيوان، 1/129.
(5) المصدر نفسه، 1/124.

1- تغيير واضح بنبرة الصوت، بحيث أن من يسمع ذلك الصوت سواء أكان يعرفه أم لم يعرفه يحكم عليه بأنه صوت شخص مخصي[1].

2- انجراد الشعر من جسم الخصي إلا في موضع الرأس والحاجبين والعانة كما هو الحال مع المرأة[2].

3- يكون الخصي أقرب في تصرفاته إلى تصرفات النساء والأطفال فهو سريع الغضب وسريع الرضا وسرعة الدمعة لديه[3].

4- يكون نهماً شرهاً عند تناول الطعام ويقال ان المخصي إذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته واتسعت فتحته وكثرت دمعته[4].

5- يعرض للخصي أيضاً التبوُّل في الفراش وذلك لرغبته في الإفراط بالشراب[5].

6- يشتد وقع اقدام الخصي على الأرض فلو مشى خصياً على سطح بيت مع أخ له توأم فحل فأن وقع اقدام الخصي تكون وطأتها اشد من أخيه[6].

7- حمل الخصيان بغضا للذكور غير المخصيين لما فاتهم من نعمة النكاح واللذة التي لا يستطيعون إليها سبيلاً، فابغضوا الفحول بغض الحاسد لذوي النعمة[7].

ويمكن القول ان الحرمان الذي يعيشونه ولَّدَ عندهم الكراهية والحقد على كل صاحب ذكر سليم يؤدي وظائفه الجنسية بشكل صحيح، وفيما يتعلق ببعض التغييرات الجسمانية عند الخصي والتي سوف نتناولها بموضوع المقارنة بين الانسان المخصي والحيوان المخصي في الصفحات اللاحقة.

3- ب- التغيير بالطباع والأفعال عند الخصيان.

1- الخصي قيل عنه أنه ليس برجل ولا إمرة، وأخلاقه منقسمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصبيان.

2- كما أنهم سريعو الغضب وسريعوا الرضا ويمتازون بحبهم للنميمة، وضيق الصدر وسرعة الدمعة كالصبيان والنساء[8].

3- وغالباً ما يكون المخصي أذكى من غيره، فلو صادف أن أخوين صقلبيين من أم وأب وأخصيت احدهما لوجدت المخصي أذكى عقلاً عند المخاطبة وافطن لأبواب المعاطاة والمناولة وهو لها ألْيَقْ وبها أثْقَن من أخيه الفحل الاعتيادي[9].

4- وامتاز الخصيان بحبهم لذوي الجاه العريض والسلطان الكبير، وحبهم لخدمة الملك وامتلاك الأغنياء لهم، وشدة استخفافهم بمن لم يكن له سطوة او مال أو جاه[10].

5- ويصف الجاحظ[1] اهتمام الخصي بصاحب الجاه والمال، وتفضيله على صاحب الأدب والعلم والكرم وان كان الأخير سيده وصاحب نعمته، وان لم يُعْطَ إلا قوت بطنه، يكون له أحب مما يملكه غير الملوك وان أعطي أجوراً عالية[2].

---

(1) متز، الحضارة العربية الإسلامية، 155/2.

(2) الجاحظ، كتاب الحيوان، 113/1-114.

(3) الجاحظ، ابو بكر عمرو بن بحر بن عثمان، رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد باسل عيون سواد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، 99/1.

(4) الجاحظ، رسائل الجاحظ، 99/1، 111.

(5) متز، الحضارة العربية الإسلامية، 158/2.

(6) كتاب الحيوان، 116/1.

(7) الجاحظ، رسائل الجاحظ، 99/1.

(8) متز، الحضارة العربية الإسلامية، 158/2.

(9) الجاحظ، رسائل الجاحظ، 166/1.

(10) متز، الحضارة العربية الاسلامية، 158/2.

6- ووصف الخصي بانه: "سيء الخلق، أحمق، شَرِهٌ، مقهور... ومن لم تنبت له لحية فهو أشرُّ وأخبث"[3].

7- وكان من صفات الخصيان حبهم وولعهم بالعبث واللعب بالطير والحمام، إذ أنهم أكثر من يرتاد ويذهب إلى أسواق الحمام والاستمتاع بالنظر إلى الطيور[4].

8- كما يميلون إلى حب الخدمة في البيوت وغيرها والصبر عليها، وحب الكَنْس والرشّ وطرح البساط (جمع البساط) وهذا مما تحبه النساء وتميل إليه، كما يمتازون بقوة الركض وسرعته والمطاولة فيه، وحبهم لركوب الدواب[5].

ومن خلال هذه الصفات الذميمة التي اتصف بها الخصيان، والتي تعرض لهم بانها انحراف عن مسار الحياة الطبيعية بشكل قهري وإجباري، لذلك فهم يحاولون تعويض النقص النفسي الموجود لديهم، ربما سببه يعود الى ان الهرمونات قد فقدت توازنها وتغلبت الهرمونات الانثوية عليها، وهكذا فان السيطرة بالانفعالات والتغيير بالطبع والعمل تتغلب على الهرمونات الأنثوية، فيحدث التحول في الطباع والتكوين السايكولوجي والبايولوجي (النفسي والجسمي).

4- عقد مقارنة بين الإنسان المخصي والحيوان المخصي.

تطرقنا في الكلام السابق إلى العديد من التغييرات الجسمانية والنفسية وهنا نكمل الحديث عن بعض التغييرات الطارئة على المخصي من الناحية الجسدية بالمقارنة مع الحيوان المتعرض لعملية الخصاء.

وقف الدين الإسلامي من خلال الآيات القرآنية الدالة على تحريم الخصاء بالنسبة للإنسان، والكثير من الأحاديث النبوية المباركة الناهية عن هذا العمل، مع اختلاف الفقهاء والمذاهب الإسلامية حول مسألة خصاء الحيوان وذلك الاختلاف جاء في ضوء مدى إدراك أولئك العلماء لهذه العملية، ومنهم من يجيز العمل بذلك وغيرهم يحتاط، وآخرين يحرمون العمل به، لانهم يعدّون ذلك تمثيلاً، والمثلة في الإسلام محرّمة.

يعمل الخصاء على إحداث تغييرات نفسية وانفعالية وجسدية واضحة – كما بيّنا سابقاً– سواء أكان المخصي إنساناً أو حيواناً، ولكن تلك التغييرات منها سلبي (وهو الذي يظهر عند الإنسان المخصي) ومنها ما هو إيجابي (ذلك الذي على الأعم الأغلب يظهر عند الحيوان)، فان خُصي الحيوان يعمل على ترطيب اللحم وجعله طرياً، خصوصاً أذا تمت عملية الخصاء للحيوان في الصغر فهي أفضل أوقات الخصي، إذ يسمى الخصاء في هذه المدّة من عمر الحيوان باللغة الفارسية (ترنجت) وتعني أنه خصي رطب (ويكون الخصي أحمل للشحم، لعدم الهيج، لأن كثرة السُفاد يولد الضعف والهزال في جميع الحيوانات[6]، أما الإنسان المخصي فهو سريع التبدل والتنقل من البضاضة (كثرة اللحم) وملاسة الجلد[7]، وصفاء اللون ورقته وكثرة الماء وبريقه[8]، لأنك ترى الخصي حسب وصف الجاحظ[9] وكأن السيوف تلمع في وجهه وكأنه مرآة صينية، وكأنه جمّارة، وكأن قضيب فضّة قد مسَّه ذهب، وكان وجناته الورد، ثم ينتقل بسرعة من هذه الحالة إلى التكرّش

---

(1) الجاحظ، كتاب الحيوان، 159/1.

(2) الجاحظ، كتاب الحيوان، 136/1.

(3) الرازي، المنوري في الطب، 107.

(4) المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بـ: الخطط المقريزية، اوفست، مكتبة المثنى، بغداد . 1970م، 96/2.

(5) الجاحظ، كتاب الحيوان، 135/1-136.

(6) الجاحظ، كتاب الحيوان، 131/1.

(7) الجاحظ، رسائل الجاحظ، 98/1 .

(8) الجاحظ، كتاب الحيوان، 106/1.

(9) رسائل الجاحظ، 1/ 98.

والكمود، والتقبض والتخدد، والهزال وسوء الحال[1]، ولا يعود إلى حاله الأول وإن كان خصياً في عيش رغد وفي فراغ بال وقلة نصب.

وإذا خصي الحيوان المنتن ذا رائحة الصنان الكريهة فانه بعد الخصاء يذهب صنانه وتطيب ريحه[2]، اما الأنسان المخصي فان ريحه تكون أنتن وصفاته أشدُّ وأحدّ، ويعم خبث العرق سائر جسده، حتى أن لهم رائحة لا تكون لغيرهم من الفحول غير المخصيين من بني الإنسان[3]، إذا خصي الحيوان دق عظمه (ضعف وصغر) وعاد رخصاً، وكلما دق عظمه استرخى لحمه وأصبح رطباً بعد أن كان عضلاً صلباً[4]، أما الإنسان إذا خصي أزداد عظمه طولاً وعَرُض، وتطول وتطول أقدامهم وتلتوي أصابعها وتعْوَجُّ أصابع أيديهم وتتكمش، وذلك أول طعنهم في السن[5]، امتاز الخصيان بشكل عام يطول العمر فقال الجاحظ[6]: "وزعم بعض أهل التجربة من الشيوخ المعمرين اعتبروا اعمار ضروب الناس فوجدوا طول أعمار الخصيان أعمر من جميع أجناس الرجال، وإنهم لم يجدوا لذلك علّة إلا عدم النكاح وقلّة استفراغ النُطف يقوّي أصلابهم".

أما ما يتعلق بالحيوان فان الأليف منها الذي يعيش مع الأنسان وقد سخره لخدمته فقد وجدوا اطولها عمراً هي البغال وعزو طول العمر للبغال إلى قلّة سُفاد البغل لأنثاه، وأقصر تلك الحيوانات هي العصاقير، وقصر العمر عندها هو لكثرة السفاد، إذ اشتهرت العصافير بكثرة السفاد[7].

مما تقدم من القول يتضح ان الخصاء ينعكس سلبياً على الإنسان وفي جميع مجالات حياته سواء منها الجسمية ومستوى الاداء الذي يقوم به على عكس الحيوان الذي تكون التغييرات الحاصلة لديه بعد عملية الخصاء إيجابية، ومن ذلك جاء عدم لاستحباب، او المنع لعملية الخصاء للإنسان لما لها من نتائج مؤثرة على الفرد الواحد المخصي، وعلى المجتمع الذي يعيش فيه، والذي سينظر لذلك المجتمع نظرة حسد وبغض لما حرم منه من نعم يتمتع بها الآخرين كنعمة عدم الشعور بالنقص العضوي، وبقيمة كالإنجاب والشعور بالأبوة وبناء الأسرة الناجحة، والتعايش الاعتيادي مع أبناء الجنس المماثل أو المختلف إلى أخره من المشاعر والأحاسيس التي تدور بذهن وخاطر ذلك المخصي.

5- نبذة تاريخية عن ظاهرة الخصاء في المجتمعات البشرية.

ظاهرة الخصاء لم تكن من الظواهر الجديدة والطارئة على الدولة العربية الإسلامية، ولكنها ظاهرة لها تاريخ موغل في القدم، إذ ظهر الخصاء منذ العصور السابقة للميلاد، ويمكن القول ان المصدر الرئيس لشيوع ظاهرة الخصاء هي الحروب بالدرجة الرئيسية إذ أن الحروب هي مصدر تجارة العبيد الذين بدورهم يشكلون مادة الخصاء، ونظام الرقيق سائد منذ القدم ولم تحدد المصادر التاريخية بداية ظهور هذا النظام في العراق القديم بعدّه ارض أولى الحضارات، ولابد إن ذلك مرتبط بأولى الحملات العسكرية وأولى الرحلات التجارية، وتعود أقدم النصوص المسمارية التي عثر عليها لحد الآن والتي ذكرت الرقيق إلى عصر فجر السلالات أي النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد[8]، ويزداد ذكر الرقيق في النصوص والقوانين القديمة مثل القانون السومري[9] والقوانين البابلية القديمة[10] والقوانين الاكدية والآشورية[1] وقانون لبت عشتار

[1] الجاحظ، كتاب الحيوان، 1/106-107.

[2] متز، الحضارة العربية الاسلامية، 2/157-158.

[3] الجاحظ، كتاب الحيوان، 1/106.

[4] متز، الحضارة العربية الإسلامية، 2/158.

[5] الجاحظ، كتاب الحيوان، 1/106-107.

[6] الجاحظ، رسائل الجاحظ، 1/99؛ كتاب الحيوان، 1/ 136-137.

[7] الجاحظ، كتاب الحيوان، 1/137.

[8] H W .F .Saggs. The Greatness That was Babylon . London-1966.P.159.

[9] سليمان، د. عامر، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، 44-62.

[10] وهو شريعة حمورابي الأولى ترجمة عربية، ترجمة: عبد المسيح وزير، مطبعة بيت الحكمة، بغداد، 2007، 51-52 المواد (15-20) .

وقانون مملكة اشنونا[2]، تعرض الرقيق او الذين يُشْتَرون عن طريق التجارة لعملية الاخصاء وهم صغاراً التي بدورها تساعد على رفع سعر العبد المخصي بالمقارنة مع العبد الغير مخصي وبهذا راجت عملية الاخصاء ومنذ القدم[3]، وذلك لان معظم الملوك والأمراء كانوا يقتنون العبيد الخصيان في قصورهم ليأمنوا منهم على نساءهم وحريمهم في قصورهم[4]، ونظراً لكثرة أعدادهم في القصور ظهر منصب منذ العصور القديمة يطلق عليه اسم: كبير الخصيان أو رئيس الخصيان، وجاء بلفظ "ربساريس"، ويتكون هذا اللفظ من مقطعين هما: (رب) وتعني سيد او رئيس واللفظ الاخر (ساريس)[5] وتعني: (الخصي) وبهذا تكون كلمة ربساريس تعني سيد الخصيان او رئيس الخصيان.

وهناك رأي يقول ان كلمة خصي اصلها يوناني Eunokhos وتعني حرفياً الذي يحرس Eune مخدع النساء، اذ ان الخصيان عند اليونانيين وغيرهم مكلفين بمراقبة النساء والاشراف على سلوكهن في القصور والحيلولة دون القيام بما يتنافى مع واجب الزوجية[6].

ويشير احد الباحثين المحدثين بان الخصاء عند الآشوريين استخدم كعقوبة لمن سرق وثبتت السرقة عليه، واستخدم الخصاء عند المصريين كعقوبة تنفَّذ على من ثبت انه زاني، واستخدام الخصاء عند الفرس والبابليين كعقوبة للخيانة[7].

6- الخصاء في الديانات السماوية الثلاث.

6- 1- الخصاء في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى.

ظهر لفظ الخصي او الخصيان او رئيس الخصيان في الحقبة البابلية اذ وردت نصوصاً تتحدث عن الخصيان في الكتاب المقدس ومن هذه النصوص القول التالي: "ودخل كل رؤساء ملك بابل وجلسوا في الباب الاوسط ترجل شراصرُ، وسمجرنبو، وسرسخيم رئيس الخصيان... وكل بقية رؤساء ملك بابل"[8]، ونص آخر جاء بالقول: "قال نبوخذنصر ملك بابل... فارسل نبوزرادان رئيس الشرطة، ونبوشزبان رئيس الخصيان... وجميع رجال ملك بابل"[9].

وتناولت نصوص أخرى في الكتاب المقدس كلمة: الخصيان او رئيس الخصيان، وهي تتحدث عن اليهود كالنص الاتي: "واستدعى الملك [يوشيا] جميع شيوخ يهوذا... وعزل كهنة الاصنام... الذين كانوا يحرقون الذبائح للبعل [صنم يمثل آلهة اليهود] وللشمس والقمر... وأزال الخيل التي كرسها ملوك يهوذا لعبادة الشمس، واحرق المركبات... وهذه كلها كانت عند مدخل بيت الهيكل قرب مسكن نثنملك رئيس الحجاب..."[10].

أما عند الفرس فأن طبقة الخصيان لا تقل أهمية عن غيره من الممالك والشعوب الأخرى إذ جاء في الكتاب المقدس نصوصاً تثبت أهمية تلك الطبقة إذ تناول سفر أستر عدة نصوص احتوت كلمة الخصيان أو رئيسهم مثل: "في اليوم السابع لما طاب قلب الملك [احشويرش] بالخمر امر لمهومان وبزتا وحربونا وبغتا وأبغتا وزيتار وكركس، وهم الخصيان السبعة الذين كانوا يخدمون بين يديه [الملك أحشويرش]..."[11].

---

[1] سليمان، القانون في العراق القديم، 279، 282-283.

[2] باقر، طه، قانون لبت عشتار، قانون مملكة اشنونا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، 60-61(المواد 49-52).

[3] V.Maitzam,Me in Wall Fahrt nach Mekka.1865,1,48.

[4] متز، الحضارة الاسلامية، 151/2.

[5] الكتاب المقدس، سفر الملوك الثاني، 17/18.

[6] الأحمدي، فهد عامر، دور الخصيان في العصر العباسي، مقال منشور على موقع الكتروني اسمه منتديات فوست.

[7] الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 97-98.

[8] سفر ارميا، 3/39.

[9] سفر ارميا، 11/39، 13.

[10] سفر الملوك الثاني، 1/23، 5 /11.

[11] سفر أستير، 10/1.

يذكر ان الرومان هم أول من ابتدع الخصاء[1]، وبالتأكيد هذا القول غير دقيق لأن ما مر علينا من الكلام السابق يوضح ان الخصاء معنىً ومصطلحاً يرجع تأريخه إلى عصور أقدم من تاريخ الرومان.

وممن قال ان الرومان أول من قام به الجاحظ[2]، إذ قال: "وكل خصاء في الدنيا فأنما أصله من قبل الروم، ومن العجب أنهم نصارى، وهم يدّعون من الرأفة والرحمة، ورقة القلب والكبد، ما لا يدّعيه أحد من جميع الأصناف... ولا جرم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخصيان، من طلب الطوائل وتذكر الاحقاد... ولم نَرَ عداوة [الخصيان للنصارى] قط تجوز عداوتهم لهم".

نظر الخصيان نظرة الكره والبغضاء للرومان، إذ يعتبرونهم المسببين بخصائصهم لأنهم ابتدعوا الخصاء حسب رأيهم هذا من جانب، ومن الجانب الآخر لأنهم يمارسون ويباشرون اخصاء بأنفسهم ويوضح الجاحظ[3] مدى بغض الخصيان للروم بالقول: "ولرجال كل فن وضرب من الناس، ضرب من النسك إذ لابد لأمدهم من النزوع، ومن ترك طريقته الأولى: فنسك الخصي غزو الروم، لما ان كانوا هم الذين خصومهم، ولزوم اذنة والرباط بطرسوس[4] وأشباهها، فظن عند ذلك الذي خصوهم كانوا مغتاظين عليهم، وكانت متطلبة للتشفي منهم، فأخرج لهم حب التشفي شدة الاعتزام على قتلهم، وعلى الانفاق في كل شئ يبلغ منهم".

مارس النصارى الخصاء وتكسبوا منه، وكانت مدينة هدية في الحبشة يعتنق أهلها الديانة النصرانية وكانوا يمارسون الخصاء دون غيرهم من أهالي المناطق الحبشية الأخرى حتى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[5]، وفي الصعيد بمصر يوجد ديِّران قبطيان دخلهما الأساسي مصدره الخصاء الذي يمارس بشكل كبير، حتى أنه يكفي لتمويل مصر كلها ومناطق أخرى بالخصيان[6]، وعمل عدد من الأقباط النصارى على شراء صغار العبيد السود والاتجار بهم وخصائهم، إذ كان يموت الكثير منهم اثناء عملية الخصاء، إذ ينجو واحد من كل سبعة، إلا أن الباقي يباع بعشرين ضعفاً من ثمن شراءه، وكانت هذه العملية تقلل عدد الخصيان وترفع من أثمانهم، ففي بيزنطة فان الخصي يباع بأربعة أمثال العبد غير المخصي (العادي)[7].

وكان بعض الرومان يعملون على خصاء أبنائهم وهم صغاراً ويوقفوهم للخدمة في دور العبادة لجعله سادناً، إلا أنهم يحرصون على عدم الأضرار بالقضيب إذ أنهم يتعرضون للأنثيين (الخصيتين) فقط، حتى لا يستطيع أولادهم من احبال نسائهم وراهباتهم، ولكن بإمكان أولئك الأولاد المخصيين قضاء الوطر مع النساء وبلوغ اللَّذَّة إذ انهم يعتقدون أنهم يبلغون مبلغاً لا يبلغه الفحل، ووصف الجاحظ ذلك بالقول: "كأنهم يزعمون انه يستقضي جميع ما عندها [المرأة] ويستجلبه لفرط قوته على المطاولة"[8].

والخصي الذي يوقف للعمل في دور العبادة فأن من الأعمال التي يقوم بها هو: (الغناء)، ولا يمكن للخصي أن يتدرج بالمناصب الدينية في الكنيسة اللاتينية بحسب تعليمات بابوات تلك الكنيسة، إلا أن الكنيسة الارثوذوكسية فيمكن للخصي ان يقوم بعمله داخل الكنيسة كالغناء، كما يمكن أن يتدرج بالمناصب الدينية حتى يصبح قِساً، ولدينا مثال على ذلك في

---

(1) الجاحظ ، كتاب الحيوان، 124/1.

(2) المصدر نفسه، 124/1.

(3) المصدر نفسه، 173/1– 174.

(4) أي المرابطة على مناطق الثغور الحيدة مع الروم البيزنطيين، قتالهم ومجاهدتهم.

(5) متز، الحضارة العربية الإسلامية، 152/2.

(6) Fursa Puckier,Aus Mehmed Ali . Reich, III, P.159.

(7) متز، الحضارة العربية الإسلامية، 152/1، 154.

(8) كتاب الحيوان، 124/1.

الكنيسة الارثوذوكسية فأن اثنان من الخصيان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، توليا منصب بطريرك كنيسة القسطنطينية الواحد بعد الآخر[1].

6- 2- موقف الدين الإسلامي من الخصاء.

بعد أن تطرقنا إلى الخصاء من الناحية اللغوية، إذ أنه وباختصار هو عملية إذابة بيضتا الذكر في الصغر أو الكبر، ويبقى قادراً على ممارسة الجنس وإتيان النساء عاجزاً عن الإنجاب.

اختلف الفقهاء والمفسرون في مشروعية الخصاء أو عدمها، فمنهم من منع الخصاء مطلقاً، وغيرهم رخص خصاء البهائم للحاجة، وتحريم خصاء غير المأكول مطلقاً وإباحة خصاء صغار المأكول دون الكبير[2].

اشارت العديد من الآيات القرآنية ضمنا الى مفهوم الخصاء، الامر الذي اوضحه المفسرون في تفاسيرهم للآيات القرآنية، فجاء في قوله تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"[3]، ذكر الطبرسي ان المراد منها معنى معنى الخصاء[4]، وقوله تعالى": ولامرنهم فليغيرن خلق الله"[5]، اختلف العلماء في معنى كلمة التغيير في الآية فقالت طائفة منهم هو الخصاء[6].

ونقل الهندي[7] رواية أسندها إلى احد أصحاب النبي (ص) قال: "كنت جالساً مع النبي [ص] في عصابة من أصحابه فجاءت عصابة فقالوا: يا رسول الله: انا كنا قريبي عهد بالجاهلية وكنا نصيب الآثام والزنا فأذن لنا في الخصاء، فكره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسألتهم..." ونقل المناوي[8] حديثاً برقم (9697) يقول: "لا اخصاء في الإسلام".

وقال الرسول الأكرم (ص) ينهى عن الخصاء فقال: "لا تخصوا ما ينمي خلق الله"[9]، كما ان الخصاء فيه من الألم البدني والنفسي ما قد يؤدي إلى هلاك الإنسان أو جعله عالة على المجتمع ، ويُعدُّ الخصاء نوع من أنواع التمثيل والإسلام نهى عن التمثيل فقال(ص): "... إن المثلة حرام ولو بالكلب العقور"[10]، وهذا دليل على إن موقف الإسلام من الخصاء موقفاً غير مؤيد وموقف الناهي عنه، والاخصاء في الإسلام مكروه[11].

---

(1) متز، الحضارة العربية الإسلامية، 153/2 هامش رقم (4).

(2) المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، 493/6.

(3) سورة الروم، الآية/ 30.

(4) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم حمد ،مكتبة الرشيد، الرياض، 1989م،173/1؛ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 1995م، 382/5.

(5) سورة النساء، الآية/ 119.

(6) الصنعاني، تفسير القرآن، 173/1؛ الطبري، جامع البيان، 382/5؛ النحاس، ابو جعفر، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى، الرياض، 1988م، 195/2؛ الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار نشر الكتاب، بيروت، 1983م، 157؛ القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1984م، 389/5؛ السيوطي، الشيخ جلال الدين، الدر المنثور، نشر دار المعرفة، مطبعة الفتح، جدة، 1975م، 223/2.

(7) الهندي، كنز العمال، تحقيق: الشيخ البكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت- د.ت، 146/14.

(8) المناوي، فيض القدير، 493/6. راجع ايضا: البهيقي، احمد بن الحسن بن علي، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، د.ت،24/10؛ الحنفي، ابن ابن تميم، البحر الرائق، شرح كنز الدقائق، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب المصرية، بيروت، 1996م، 190/5.

(9) القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1985م، 391/5.

(10) الطبراني، سليمان بن احمد بن ايوب، المعجم الكبير، تحقيق: مهدي عبد المجيد السلفي، دار احياء التراث العربي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت، 100/1؛ الخوارزمي، الموفق بن احمد المكي، المناقب، تحقيق: مالك الحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، 1990م، 386.

(11) ابن انس، مالك، كتاب الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985م، 948/2.

ووردت احكام فقهية بخصوص الخصيان والمجبوبين من بني البشر ومن هذه الأحكام: قطع ذكر الفحل بذكر الفحل الخصي الذي سلت بيضتاه وبقي ذكره، والدليل على ذلك قوله تعالى: "والجروح قصاص"[1]، وقوله: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"[2]، وقوله: "وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به"[3].

الفصل الثاني

الاوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية

للخصيان في المجتمعات الاسلامية

1- الاوضاع السياسية والاجتماعية للخصيان في المجتمعات الاسلامية.

تحدثنا فيما مر من صفحات البحث عن الخصاء باللغة والاصطلاح مع اهم المزايا التي يتمتع بها الخصيان والوسائل المستخدمة في إجراء عملية الخصاء، إضافة إلى تاريخ الخصاء وأولويات ظهوره والقدم الموغل في التاريخ لظهور الخصاء، وفيما يتعلق بالخصاء خلال عصور الدولة العربية الإسلامية فلا بد لنا من القول أن هذه الظاهرة كانت موجودة في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، إذ إن عرب قبل الإسلام استخدموا الرقيق والعبيد السود لخدمتهم في بيوتهم وفي الأعمال المنزلية وأعمال الرعي والتجارة فكان العبيد طبقة من الطبقات المكونة لمجتمع عرب قبل الإسلام، ومن جملة هؤلاء العبيد الخصيان[4]، الذين كثر استخدامهم في مكة قبل الإسلام استحباباً لخدمتهم وطاعتهم لأسيادهم باعتبارهم مملوكين عندهم[5].

وفي أيام النبي الأكرم (ص) عندما كان في المدينة المنورة قد أهدى له مقوقس مصر جاريتين ومعهما خصي[6]، والجاريتان هما مارية القبطية أم المؤمنين رضوان الله تعالى عنها، واختها سيرين وخصيٍ أسمه مأبور[7] الذي أختلف في كونه كان خادماً لهما[8]، وقيل أنه أخيهما مع هدايا جزيلة أخرى، كان ذلك سنة 8هـ/629م[9] وأسلمت مارية وأختها رضوان الله تعالى عنهما، اما مأبور فقد اعتنق الإسلام في عهد النبي (ص) بعد ان تأخر في ذلك مدة من الزمن[10].

وينبغي القول هنا عن النبي (ص) عندما تقبل هذه الهدايا التي بضمنها خصي لا يعني ذلك أنه يبيح او يشجع الخصاء لكن هو من باب قبول الهدية، لأن موقف الإسلام الرافض لعملية الخصاء واضح تماماً تجاه هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية.

وورث العصر النبوي الشريف ظاهرة العبيد الذين كان الخصيان ضمن مجتمع الجاهلية، ذلك المجتمع الذي اعتمد الطبقية في التقسيم الاجتماعي، وأسلم عدد من اولئك الخصيان واصبح لهم دور فاعل فيه، وتفقهوا في الدين الإسلامي وسهموا في علومه المختلفة لاسيما علم الحديث إذ ان ابا مريم الخصي ممن اعتنق الإسلام وأدرك رسول الله (ص) وروى

---

(1) سورة المائدة، الآية/ 45.

(2) سورة البقرة، الاية/194.

(3) سورة النحل، الآية/126.

(4) إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول (ص)، 78.

(5) الطائي، رائد محمد حامد، الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، 78.

(6) مصعب الزبيري، نسب قريش، 21؛ الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات،282؛ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، المنتخب من كتاب ذيل المذيّل من تاريخ الصحابة والتابعين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1939م، 617.

(7) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، مطبعة ليدن، 1919م، 212/8.

(8) الزبيري، نسب قريش، 21.

(9) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 212/8.

(10) ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، 310/8، 519/5. يراجع: ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري، اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، 268/4.

عنه الحديث[1]، أما في العهد الراشدي (11- 40هـ/632- 660م) فقد وردت روايات تشير إلى وجود الخصيان والذين كان لهم دور في قيادة الجيوش، إذ تشير الرواية أنه في معركة اليرموك بين الروم والمسلمين كان قائد جيش الروم قد تم اخصائه ولقب بـ: (شعلاب الخصي) الذي قاد مئة ألف جندي[2]، وخصياً آخر كان يملكه هرقل الروم يلقب بـ: (القيقلان الخصي)[3]، وفي سنة 25هـ/645م بعث هرقل الروم إلى الإسكندرية في مصر خصياً أسمه: معويل وقيل منديل، يقود مراكب بحرية بيزنطية فتصدى لهم عمرو بن العاص[4].

ظهر استخدام الخصيان بشكل واضح وكبير ايام الخلافة الأموية (41-132هـ/661-749م)، وقد أختلف المؤرخون بتحديد أول خليفة اتخذ الخصيان واستخدمهم في قصره، فمنهم من قال معاوية بن ابي سفيان أول خليفة اتخذ الخصيان لخدمته وخدمة حريمه داخل القصر، وكان من بين الخصيان الذين استخذهم معاوية خصي اسمه: رفيق[5] ويُعدُّ معاوية بن بن أبي سفيان أول من اتخذ الخصيان الخاصّين بالخدمة له[6]، فكانوا يصاحبونه أثناء جولاته التفقدية داخل القصر وخارجه بل وفي أثناء الدخول إلى حريمه داخل القصر، كما حدث عندما اصطحب معه أحد خصيانه المسمى بـ: (خديج الخصي)[7] ودخل على زوجته ميسون بنت بحدل الكلبية ام ولده يزيد[8].

وذهب البعض إلى القول بان يزيد بن معاوية (60- 63هـ/679- 682م)هو أول من استخدم الخصيان الشخصيين له، وكان عنده خصي نال الحضوة لديه اسمه: (فتح)، وذكر بان واحداً من أسباب خلع أهل المدينة ليزيد بن معاوية هو مسامرته للخصيان[9]، وكثرة ما ارتكبه من أعمال استنكروها عليه[10].

الكلام السابق يقودنا الى امكانية القول ان معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661- 679م) أول من استخدم الخصيان، إلا أن ابنه يزيد أكثر منهم وبالغ في مسامرتهم ومجالستهم لهذا اشير إلى انه أول من استخدمهم.

وكان للخليفة عمر بن عبد العزيز(99- 101هـ/717-719م) مولى خصياً أسمه: تليد، ويقال انه مولى زبان بن عبد العزيز بن مروان[11]، ولعمر بن عبد العزيز خصيان عديدين هم: ابو أمية الخصي[12]، ومنصور الخصي، ومولىً له اسمه: مرثد الخصي[13]، وكان لمروان بن محمد (127- 132هـ/738-749م) آخر خلفاء بني أمية مولى له أسمه: سعد الخصي[14].

---

(1) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، 160؛ ابن عدي، ابو احمد عبد الله، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: د.سهيل زكار، ط3، دار الفكر، بيروت، 1985، 856/1.

(2) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988م، 9/7.

(3) ابن عساكر، ابو القاسم الحسن بن هبة الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق الكبير، تحقيق: د. علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1995م، 228/70.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، 169/7.

(5) النويري، شهاب الدين احمد بن عبدوهاب، نهاية الأرب في فنون الادب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت، 180/6.

(6) الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، الإكليل، تحقيق: محمد بن الاكوع، ط3، منشورات المدينة، 1407هـ/1986م، 230/1؛ الهاشمي، الإسلام في حضارته ونظمه، 68؛ الطائي، الرقيق في صدر الإسلام، 79.

(7) كان لمعاوية بن أبي سفيان قصة معه، للإطلاع عليها يراجع: ابن كثير، البداية والنهاية، 149/8.

(8) ابن عساكر، تاريخ مدية دمشق، 130/7.

(9) مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، 195 .

(10) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق: لجنة من الادباء، دار التعارف، بيروت، د.ت، 191-196.

(11) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 36/11-37.

(12) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 7.

(13) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 359/1-360، 206/57.

(14) السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد، الانساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988م، 377/2؛ ابن خياط، خليفة العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، 327. استخدم الترمانيني لفظ

أما في العصر العباسي (132–656هـ/749–1258م) فقد برزت ظاهرة استخدام الخصيان في قصور الخلفاء بشكل كبير، وكان ذلك العصر أكثر العصور الإسلامية وضوحاً بما يتعلق بهذه الظاهر، إذ أُتخذوا لحراسة الخلفاء والأمراء وأرباب الدولة، وربما كان من بعض واجباتهم اغتيال المطالبين والمنافسين على العرش أو من يخاف منهم على العرش وذلك بسمل عيونهم[1]، وكانوا أحياناً ينكرون نعمة أوليائهم فيعملون على قتلهم والفتك بهم بإيعاز من قبل أحد المتنافسين على العرش[2].

ولكن يبدو ان العمل الرئيسي لهم هو خدمة الحريم ونساء القصر عند الخلفاء وأرباب الدولة وأسيادهم، وكانوا يأتمنونهم لانهم من غير ذوي ألأربة بالنساء (من غير ذوي الحاجة للنساء)، وبالغ الخلفاء باستخدامهم حتى بلغ عددهم الآلاف، فكان منهم في قصر المتوكل (232–247هـ/846–861م) أربعة آلاف خصي، وفي قصر المقتدر (295–320هـ/907–932م) تجاوز عددهم هذا الرقم كثيراً، إذ يقال إن عددهم اكثر من عشرة آلاف[3]، ولم يكن خلفاء بني العباس وحدهم من استخدم الخصيان ولم يقتصر تواجدهم على منطقة الشرق الإسلامي بل تشير النصوص التاريخية أن خلفاء بني أمية في الأندلس أكثروا منهم أيضا، ففي قصر الزهراء في قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس بلغ عددهم العشرة آلاف خصي[4]، وفي دولة المماليك كان لا يطلق عليهم الا (الأغوات) مفردها أغا وتعني الكبير[5].

والقول السابق يدل على مدى النفوذ الممارس من قبل الخصيان في القصور وفي الدولة، اذ أصبح لهم دور في عزل وتولية العديد من شاغلي المناصب الذين لا يعملون بمؤسسات الدولة العالية الحساسية، فاصبحوا يرفعون ويخفضون حسب القول الدارج.

والدليل على ذلك هو أن كلمة الخصي في العصور الإسلامية المبكرة لفظة مهينة فيها الكثير من نزول القدر لمن تطلق عليهم، وكلمة الخصي في بادئ الأمر تعني: الخادم، كان يطلق عليهم اسم الخصيان من باب التشهير والاستخفاف بهم[6]، حتى أن عوام الناس كانوا يهزئون بهم دائماً ويسمعونهم ألفاظ تدل على السخرية منهم والاستخفاف بهم، وأكد ذلك المسعودي[7] الذي ذكر إن العامة كانوا يستهزئون بهم في الشوارع ويصيحون عليهم استخفافاً ويقوولون: "ياعقيق، صب ماء واطرح دقيق، ياعاق، ياطويل الساق"، إلا أنهم شيئاً فشيئاً وبحسب النفوذ الذي مورس من قِبَلَهم داخل البلاط أطلق عليهم في العصور العباسية المتأخرة أسم: المعلم أو الشيخ، بل تجاوز الأمر أكثر من ذلك حتى أصبحوا يسمون بالطواشية ويطلق على كبيرهم وصاحب النفوذ منهم لقب: الاستاذ[8].

وقد اهتم القصاص بموضوع الخدم لما فيه من المواقف المضحكة والنوادر الجميلة حتى أصبح أولئك الخدم موضوعاً لأولئك والأدباء او القاصة، مثل تقليد حركاتهم وأصواتهم والمواقف الملفتة للنظر بالظرافة والطرافة[9].

الخادم – والغلام– على انها تعني الخصي إذ أنه تحدث عن عنوان الخصاء بكلام عن الخدم والغلمان، وكأنه يقصد الـلا فرق بين هذه المصطلحات. الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 93- 96.

(1) ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد، الأغاني، تحقيق: لجنة مطبعة دار الكتب العلمية، طبع دار الكتب، القاهرة، 1961م، 269/4.

(2) الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 94.

(3) التنوخي، ابو علي المحسن بن علي، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، 48/5؛ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، 1930م، 100/1.

(4) المقري، ابو العباس احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، دار صادر، بيروت، 1968م، 102/2.

(5) الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 92.

(6) متز، الحضارة الإسلامية، 154/2- 155.

(7) مروج الذهب، 180/8.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، 31.

(9) متز، الحضارة الإسلامية، 155/2.

ومن تلك المواقف على سبيل المثال لا الحصر سادت أيام الخليفة المعتضد، حسب ما ذكره الطبري[1] في حوادث عام 284هـ/897م، إذ بعث الخليفة برقعة مع خادمه إلى احد ندمائه، فلما بلغ الخادم الخصي رأس الجسر الذي يربط بين الرصافة وبغداد صاح به احد العامة مستهزءاً به: يا عقيق، فرد عليه الخصي بالشتم ، فاجتمع عليه عدد من العامة فابرحوه ضرباً، ففقد الخادم الرقعة، فرجع إلى الخليفة يشكوه ما حدث فوجه الأخير من يقوم بحساب المسببين بالتعرض للخادم وضربهم بالسياط.

اهتم خلفاء بني العابس بالخصيان وشرائهم، وصرف الأموال الطائلة عليهم وإلباسهم أجمل الكسوة وافخرها وتزيينهم بأجمل الحلي والجواهر، والسماح لهم بمشاركة الخلفاء مجالسهم والسير برفقة مواكبهم، فالخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786- 808م) كان إذا سار موكبه خرج بين يديه (400 خصي) يحملون القسي المملوءة بالبندق ويرمونه على من يعارض طريق الخليفة[2]، إلا أن الخليفة الأمين (193-198هـ/807- 813م) كان له شأن مختلف مع الغلمان، وضح ذلك المسعودي[3] بقوله: "قَدَّم [الأمين] الخدم وآثرهم ورفع منازلهم فلما رأت ام جعفر [والدته زبيدة] شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجواري المقدودات الحِسان الوجوه وعممت رؤوسهن وألبستهن الأقبية والمناطق، فماست خدودهن وبرّزت اردافهن، وبعثت بهن إليه، فاختلفن بين يديه، فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن، وابرزهن للناس من الخاصة والعامة، فاتخذ الناس الجواري المطمومات، والبسوهن الأقبية والمناطق وسموهن الغلاميات".

فيما مضى تعرفنا الى الكيفية التي كان يتعامل بها الأمين مع الخدم (الخصيان) والذي يفهم من النص انه استخدمهم للهو والمرح، إذ ربما يمكن القول أنه استخدمهم لإشباع رغباته الجنسية، يوضح الطبري[4] ذلك بالقول: "لما ملك الأمين ابتاع الخصيان، وغالى بهم، وصيرهم لخلوته ورفض النساء والجواري".

وأكد ابن الأثير ان الأمين استخدم الخصيان لشهواته وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره، وفرض لهم فرضاً سماهم: الجرادية، وفرضاً سماهم :الغرابية، ورفض النساء والحرائر والإماء، حتى ان احد الشعراء المعاصرين لشدة استنكاره لذلك قال قصيدة بهذا الخصوص يوجه خطابه بها إلى الخليفة هارون العباسي والد الأمين نقتطع منها ما يفيد موضوع البحث.

الا يا مزمن المثوى بطوس غريباً ما تنادى بالنفوس
لقد أبقيت للخصيان بعلاً يحمل منهم شؤوم البسوس
فاما نوفل فالشأن فيه وفي بدرٍ فيالك من جليس
وما العصمي يشار لديه إذا ذكروا بذي سهم خسيس
وما حسن الصغير أخسُّ حالاً لديه عند مخترق الكؤوس
لهم من عمره شطر وسطر يعاقر فيه شرب الخندريس
وما للغانيات لديه حظٌ سوى التقطيب والوجه العبوس
إذا كان الرئيس كذا سقيماً فكيف صرحنا بعد الرئيس[5]

---

(1) ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت، 2164/3.
(2) ابن الاثير، علي بن ابي الكرم الجزري، الكامل في التاريخ، دار صادر، 1966م، 34/6.
(3) مروج الذهب، 299/8.
(4) تاريخ الامم والملوك، 950/2. يراجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، 280.
(5) الكامل في التاريخ، 410/5.

الأبيات السابقة تشير إشارة واضحة إلى ما يقوم به الأمين من أعمال، ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا أن هذا العمل مارسه ايضا عدد من كبار موظفي القصر وبطانته، فعندما أخذ الأمين البيعة لولده موسى، ووجه علي بن عيسى إلى حرب طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون، وذلك أيام الفتنة بين الأمين والمأمون، والحرب الأهلية، قال أحد شعراء بغداد المعاصر لذلك الحدث ابياتاً نقتطع منها ما يشير للعمل السالب عند عدد من كبار الدولة ووزرائها.

لواط الخليفة أعجوبة   وأعجب منه خلاق الوزير

فهذا يَدوسُ وهذا يُداس   كذاك لعمري اختلاف الأمير

ولكن ذا لجَّ في كوثرٍ[1]   ولم يشف هذا دعاس الحمير

وأعجب من ذا وذا اننا   بنابع للطفل فينا الصغير[2]

ولشدة انشغال الأمين باللهو واللعب وتركه أمر الدولة إلى الدرجة التي تقبل بها خبر مقتل قائد جيشه الذي توجه لقتال جيش أخيه المأمون إلى بغداد لدخولها بكل برود، ويوضح ذلك ابن الطقطقي[3] بقوله: "... ثم ان نعي علي بن عيسى ورد الأمين وهو يصطاد السمك، فقال للذي أخبره بذلك: دعني فأن كوثراً قد اصطاد سمكتين وأنا إلى الآن ما اصطدت شيئاً! وكان كوثر خادماً خصياً له وكان يحبه".

وحسب الدلائل ان اهتمام الأمين بالخصيان واللهو معهم إلى الدرجة التي يمكن وصفه بها أنه يكون خارج أطار المسؤولية عندما يكون برفقتهم.

اهتمام الأمين بالخصيان والإكثار منهم والاعتكاف عليهم أدى إلى حدوث الاستنكار والسخرية بأفعاله، وقال أبو نؤاس في ذلك أبياتاً شعرية منها:

احمدوا الله جميعاً   ياجميع المسلمينا!

ثم قولوا، لا تملوا: ربنا ابق الأمينا!

صيّر الخصيان، حتى   صير التعنين دينا

فاقتدى الناس جميعاً   بأمير المؤمنينا[4]

الابيات الشعرية السابقة تدل دلالة واضحة على مدى انتشار ظاهرة اللواط والتشبب بالغلمان لاسيما الخصيان منهم، كما لابد لنا من القول ان ما يقوم به بعض الخلفاء ينتقل شيئاً فشيئاً حتى يصبح أمراً معمولاً به ومقلداً من عامة الناس، خصوصاً ذوي الجاه والغنى منهم، لذلك فأن اقتناء الخصيان من قبل العامة أصبح أمراً شائعاً في المجتمعات الإسلامية بل والأكثر من ذلك شيوع استخدام أولئك الخصيان لأغراض المتعة واللهو. هو الآخر أصبح من الأمور المتعارف عليها والمستخدمة بشكل واضح إلى الدرجة التي انقسم بها الفقهاء في القرن الرابع الهجري حول مسالة اللواط إلى فريقين: الأول منهم يعتبر اللواط زنا ويطالب باستخدام الحدود الشرعية بالرجم والقتل لمرتكبيه[5]، في الوقت الذي أراد غيرهم ان يفرقوا

---

[1] كوثر الخصي المقرب للخليفة الأمين. ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1940م، 214.

[2] الطبري، تاريخ الامم والملوك، 7/7 ؛ الصفدي، خليل الدين آيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، 31/24.

[3] الفخري في الآداب السلطانية، 214.

[4] الطبري، تاريخ الامم والملوك، 11/7؛ متز، الحضارة الإسلامية، 121/2.

[5] متز، الحضارة الإسلامية، 159/2.

بين اللواط بالغلام المملوك وغير المملوك، وذهبوا إلى القول بأن الحد لا يلزم الأول (الذي يلوط بغلامه) في حين يلزم استخدام الحد وعقوبته مع الصنف الثاني (الذي يلوط بغير غلامه)، والأكثر منهم مالوا إلى القول أن لا حَدَّ فيه، ويرجع بمن يلوط بغلامه إلى القاضي لينفذ به عقوبة التعزيز [1] لا الرجم[2].

نستنتج من القول السابق ان ظاهرة استخدام الخصيان في البيوت وشيوع ظاهرة اللواط وكثرتها أدت إلى مناقشة هذه الظاهرة من قبل الفقهاء والانقسام فيما بينهم إلى قسمين، اذ ان المدّة السابقة لهذا القرن لم نجد إشارة الى وجود اختلاف بين الفقهاء حول هذه المسألة حيث ان القرون السابقة لهذا القرن اتفق الفقهاء بان اللواط عليه الحدّ، وهذا يدل دلالة واضحة على شيوع اللواط في القرن الرابع والقرون التي تلته، اذ ان اللواط بالغلمان أصبح ظاهرة واضحة خلال القرن المذكور لظهوره في أوساط المجتمع؛ لهذا وجد الفقهاء أنفسهم أمام اللا خيار في مناقشة هذه الظاهرة السلبية التي تفشّت بين أوساط المجتمع بشكل عام، وكبار الدولة ومسؤوليها بشكل خاص.

وانتشرت ظاهرة التشبب بالغلمان الخصيان من قبل الشعراء، والغريب ان هناك بعض الشعراء الموصوفين بالرزانة والاتزان كانوا يتشببون بالغلمان، ومنهم ابو فراس الحمداني الذي قال:

سكرت من لحظة لا من مدامته ... ومال بالنوم عن عيني تمايله

فما السلاف دهتني بل سوالفه ... ولا الشمول ازدهني بل شمائله

ألوى بعزمي أصدغٌ لوين له ... وعال صبري ما تحتوي غلائله[3]

وربما استخدم أصحاب الحرف والمهن بعض الأبيات الشعرية التشببية المسموعة لجلب المتبضعين إليهم وترويج مهنتهم مع إشباع رغباتهم النفسية والجنسية، حيث يذكر ان خبازاً في البصرة يصنع خبز الأرز أسمه نصر بن احمد الخبزأرزي، كان له دكاناً بمربد البصرة، وكان يخبز وينشد الأشعار في التغزل بالغلمان والخصيان، حتى ان أحداث البصرة وصبيانها كانوا يتهافتون عليه للشراء واستماع الشعر منه، وكانوا يتنافسون لجلب نظره إليهم وذكره لهم، ومن شعره:

وددت أني بكفّه قلم ... أو أنني مدة على قلمه

يأخذني مرة ويلثمني ... ان علقت منه شعرة نعمه[4]

وقال أيضاً:-

خليليَّ هل ابصرتما وسمعتما ... بأكرم من مولى تمشى إلى عبد

أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي ... أصونك عن تعليق قلبك بالوعدِ

فما زال نجم الكأس بيني وبينه ... يدور بافلاك السعادة والسعد[5]

---

[1] التعزير: وهو التاديب بالضرب دون الحد. الجوهري، الصحاح، 744/2.

[2] السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، بيروت، د.ت، 18/3.

[3] الثعالبي، ابو منصور عبد الملك النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، 78/1؛ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م، 60/2؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 203/11.

[4] الحموي، شهاب الدين ياقوت الرومي، معجم الأدباء، ط2، دار الفكر، بيروت، د.ت، 430/2؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، دار الهجرة، 1984م، 374/8.

[5] الثعالبي، يتيمة الدهر، 429/2.

وكان للأمير البويهي عز الدولة بختيار غلاماً خصياً كان يحبه بصبابة وشغف، وكان هذا الغلام قد اسر بإحدى المعارك التي دارت بين أفراد البيت البويهي حول السلطة، وأظهر انه قد فجع بهذا الغلام أكثر من فجيعته بالدولة، وصار يظهر الجزع والشكوى حتى سقط بعيون الناس[1].

ولم يقتصر الولع بالغلمان الخصيان على أرباب الدولة والطبقات الميسورة العيش أو الطبقة العامة، بل الغريب انه قد امتد الى عدد من المفكرين والعلماء، فهذا ابي عبدالله محمد بن نفطويه (ت:323هـ/943م) كان عالماً باللغة العربية والحديث، ينقل قصة غرامية عاشها صديقه الفقيه محمد بن داود الأصفهاني، وكان ابن داود يعشق غلاماً وقد أوصله العشق إلى المرض حتى نام طريح الفراش، وزاره أحد أصدقائه فسأله عما يشكو، فقال له: حب من تعلم أوردتني ما ترى – يبدو أن قصتة عرفها عامة الناس – وكانت وفاته على أثر هذا الهوى الذي أوصله إلى الهلاك[2].

ويعلل البعض سبب انتشار اللواط مع الخصيان وظهوره بشكل واضح أيام العباسيين كان بسبب انتشاره عند جيوش العباسيين في خراسان إذ إن العباسيين منعوا اصطحاب النساء من قبل الجند، فأضطر الجند إلى أخذ غلمانهم وخصيانهم معهم لأغراض الخدمة كالطبخ وغسل الملابس، ونتيجة للمدة الطويلة التي يقضيها الجندي على الحدود، وطول المكوث هناك ونتيجة للاختلاط مع الغلمان الذين ربما ناموا معاً أو ربما بصر أحدهم على خدود غلام طرية ناعمة حمراء كأنها خدود امرأة، أو ربما رفع بصره على ردفيه أو ساقيه، الأمر الذي يولد عند الشاذّين منهم الرغبة باللواط بغلامه، وهكذا تفشّت وانتشرت هذه الظاهر عند العباسيين أكثر من الأمويين الذين كانوا يسمحون للنساء بمرافقة الجيش[3].

لم يقتصر وجود واستخدامهم والاعتماد عليهم في كثير من الأمور على جهة المشرق، بل ان هناك حوادث سجلت بهذا المضمار على مستوى جميع أرجاء الدولة الإسلامية وبمختلف عصورها، ففي ايام الفاطميين تحديداً ايام الخليفة العزيز بالله الفاطمي الذي كان يملك غلاماً ابيضاً خصياً اسمه: ابو الفتوح برجوان، وقد رباه في داره، وولاه أمر قصوره، وكان يثق به ثقة كبيرة إلى الدرجة التي أوصاه عندما حان أجله بابنه الحاكم بأمر الله، ودبّر برجوان الخصي الأمور، فأصبح الواسطة بين عامة الشعب والحاكم الجديد، إلا أنه تمرد على سيده الحاكم بامر الله وتعامل معه بالإذلال وسيطر ذلك الخصي على الأمور كلها، حتى انه كان يعامل الخليفة الفاطمي بالسخرية وعدم الاحترام، ويبدو انه كان يعامل الجميع بهذه الطريقة الامر الذي ادى الى قتل ذلك الخصي بسكّين من قِبَل عدد من الخدم الذين تعاونوا عليه وأردوه قتيلاً في بستان له[4].

كان بعض الخلفاء نتيجة القسوة والشدّة التي مارسوها في حكمهم قد وصلوا إلى فقدان الثقة بالجميع، كما حدث مع عضد الدولة الفاطمي الذي كان قاسياً متجبراً بالتعامل مع رعيته ولم ينل ثقته إلا خصي زنجي أسود اسمه: (شكر)، بحيث أن هذه الثقة جعلت من شكر الخصي متنفذاً في كل مفاصل الدولة وشؤونها، حتى أصبح الرجل الثاني في الدولة، بالرغم من أن عضد الدولة كان لديه أولاد لم يستطع أحد منهم الدخول على والده عضد الدولة في أيام مرضه الذي توفى فيه، لان ذلك غير مخول به إلا الخصي الأسود شكر، بحيث أن الوساوس راودت ولده الأكبر عند طول المدة التي احتجب فيها أبيه، وشكّ بأن أبيه ميتاً، وأن هذا الخصي يخفي خبر موته، فهجم على الموضع الذي فيه أبيه فوجده حياً، إلا أن والده استنكر عليه فعله هذا ونهره وعاقبه على صنيعه هذا بالرغم من تبيين الأمر له، ونفاه إلى كرمان[5].

---

[1] مسكويه، ابو علي الرازي، تجارب الأمم، تحقيق: د.ابو القاسم امامي، دار سروش للطباعة والنسر، بيروت، 1997م، 469/6؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 495/8.

[2] الحموي، معجم الأدباء، 308/1-309.

[3] متز، الحضارة الإسلامية، 160/2.

[4] المقريزي، الخطط المقريزية، 3/2-4.

[5] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 39/9.

ما تقدم يفيدنا بالقول ان الكثير من الخصيان المستخدمين في القصور عند أسيادهم غالباً ما يتمردون على نعمتهم ويتبطرون إلى درجة التمرد والنظر إلى أسيادهم نظرة الاستصغار وعدم الاحترام، حالما توفرت لهم الفرصة، والسبب في ذلك ربما يعود إلى الرغبة بالتعويض عن النقص الجسدي والنفسي الحاصل لديهم نتيجة عملية الخصاء، أذ ان عملية التعويض عن ذلك النقص الموجود لدى الخصي يمكن أن يُعبِّر عنها ويترجمها إلى أفعال يشعر من خلالها بالرجولة التي فقدها وحُرِم منها؛ لذلك نجد إن عدد من أولئك الخصيان نجحوا بالتدرج الوظيفي حتى شغلوا مناصباً حساسة في الدولة، سواء أكانت تلك المناصب سياسية أو إدارية أو دينية ولدينا أمثلة على ذلك يمكن أدراجها بإيجاز على النحو الآتي:

ذكر الخطيب البغدادي[1] أن هناك شريحة من الخصيان الخدم سادت أيام خلافة المقتدر وتولت مناصب مهمة في الجيش والحجابة.

وممن تدرج في المناصب العسكرية في الدولة الإسلامية هو القائد التركي مؤنس الخادم، وهو أحد الخصيان الموجودين في جيش الخلافة العباسية أيام التسلط التركي (247- 256هـ/861-869م)، ونتيجة للحنكة السياسية التي تمتع بها فانه نجح بالتدرج بالمناصب العسكرية حتى أصبح واحداً من الزعامات والقيادات التي لا يمكن الاستغناء عنها آنذاك، وله الثقل الكبير في إدارة الشؤون العسكرية[2] والإرشادات الحربية، ونتيجة لقدرته العسكرية وانتصاراته على حركة ابن المعتز[3] لقب بـ: الأستاذ، وكافور الأخشيدي الذي يسمى: (كافور الخادم) هو الآخر كان خصياً وهو خادم تركي نجح بالتسلق شيئاً فشيئاً بالمناصب حتى ولي على مصر، ونجح بتأسيس الدولة الأخشيدية سنة 356هـ/966م[4]، كانت وفاته سنة 321هـ/933م[5].

وكان لبعض الخصيان الدور الفاعل في بناء أو تأسيس مُدن معينة، ومثالنا على ذلك هو ما حدث سنة 171هـ/787م إذ عمل فرج الخصي على القيام ببناء مدينة طرسوس ايام خلافة هارون الرشيد[6].

ولا بد من القول إن بعض الخصيان عيّن والياً على مدينة او مِصر معيّن، وهو ما حدث عندما ولي سعد الخصي على الكوفة أيام الدولة الأموية، وإنما سمي الخصي هنا حسب القول ليس لأنه كان مخصياً بل لأنه لم تكن لديه لحية[7].

كما اعتمد بعض الخلفاء على الخصيان كموفدين أو سفراء إلى ولايات أخرى أو إلى ملوك آخرين وهذا ما حصل أيام خلافة الطائع لله (464- 481هـ/1071-1088م)، الذي كان يملك خصيا أسودا أسمه: دُجى بن عبدالله أبو الحسن الخادم، الذي كان يعتمد عليه بالوفادة والسفارة الى ملوك الدول الاخرى، كنت وفاته سنة 413هـ/1022م[8].

واعتمد عدد من الخلفاء على الخصيان المدربين على أخلاق الملوك وعاداتهم لأداء الكثير من المهام داخل قصورهم، فكانوا يعملون على إيصال الخَلعة أو الكِسوة إلى من يُخلع عليه أو يُكسى، بأن توضع الكِسوة على مَنكبي المُكافأ، ويقوم الخصي الموجود في القصر بإيصالها ضمن مراسيم معينة يفترض بالخصي أن يكون قد تعلمها[9].

---

(1) تاريخ بغداد، 145/6. يراجع: ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة دار المعارف، حيدراباد، 1359هـ، 107/7.

(2) للتعرف على نشاطه العسكري مع الروم، يراجع: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 44/17.

(3) للتعرف على تفاصيل هذه الحركة، يراجع: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 97/12.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 328/26، 24/43، 38/64.

(5) الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، 335/7.

(6) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 366.

(7) السمعاني، الانساب، 277/2.

(8) ابن ماكولا، الامير هبة الله، إكمال الكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في اسماء الكنى والانساب، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 361/7.

(9) ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسية المسمى بـ: تاريخ الخلفاء، تحقيق: علي شيري، مطبعة امير، 1992م، 15/2.

كما منع الخيصان من تسلم الوظائف الدينية كالقضاء والحسبة، وقاضي القضاة وغيرها من الوظائف ذات العلاقة بالأمور الدينية، إلا أن هذا الأمر قد كُسِرَ الطوق عنه أيام الحروب الصليبية إذ تم تعيين قاضياً خصياً في دمياط[1].

وربما كان للخصيان دور في الدفاع عن أسيادهم وإطلاعهم على المؤامرات التي تحاك ضدهم، فيكون بذلك خلاص الخليفة أو السلطان من الهلاك، وهذا ما حصل أيام المستنجد بالله (555- 566هـ/1160-1170م) الذي أوشك أن يكون ضحية لمؤامرة حاكتها إحدى محضيّات والده المقتفي مع عدد من جواريه، والتي كانت تسعى لأخذ الخلافة لأخيه، الا أن هذه المؤامرة فشلت[2] نتيجة جهود خصي شخصي[3] نقل له أخبار تلك المؤامرة[4]، وتم معاقبة المدبرات بان قَتَلَ بعضهم بعضهم وهن جواري في البلاط، وأغرق بعضهن[5]، أما أخيه فعمل على تدبير أمره بأن أرسل له من يتخلص منه في حمام دار الخلافة بقصر التاج[6].

اما في الاندلس التي لم تكن بعيدة عن التاثر بباقي مدن الدولة العربية الاسلامية ونتيجة لحياة الدعة والترف التي عاشها الاندلسيون، فقد انتشرت بينهم الخلاعة وعم اوساطهم المجون، يساعد في سريان وشيوع هذه الظاهرة الادباء والشعراء الذين نهجو طريق المجوع واللهو، ومما زاد الوضع سوءا تشجيع الامراء وارباب الدولة على ذلك، اذ انهم انغمسوا بالملذات والفجور ايما انغماس الى الدرجة التي اصبحوا يقيمون مجالس اللهو في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، ويبدو ان انتشار الفساد والبذخ واللهو ادى باحد الشعراء الى عزوه سبب سقوط المدن الاندلسية بانها نتيجة لهذه الاعمال الشنيعة التي اغضبت الله سبحانه وتعالى فانتم منهم، فقال:

انأمن ان يحل بنا انتقـــــــــام   وفينا الفسق اجمع والفجور
واكل للحرام ولا اضطرار اليــه   فيسهل الامر العسيـــــــــر
ولكن جرأة في عقــــــــــر دار   كذلك يفعل الكلب العقـــور
يزول الستر عن قـــوم اذا مــا   على العصيان ارخيت الستور [7]

وعاش الاندلسيون بدعة ورخاء واستسلموا كل الاستسلام للفجور والمجون وساروا وراء اهواءهم غير ابهين لما يدور من حولهم، فانحطت اخلاقهم وانحدروا الى الهاوية[8].

وشاعت ظاهرة الاهتمام بالاماكن العامة والمتنزهات التي اصبح يرتادها الخلعاء والمجّان، وذكر المقري ان مدينة شريش في الاندلس كان اهلها يظهرون الرفاهية واللهو، فقال عنها: فلا "تكاد ترى بها الا عاشقا ومعشوقا"[9].

وكان الخليفة الاموي في الاندلس محمد بن عبد الجبار الملقب بـ: المهدي (ت:400هـ/1010م)، قد عشق غلام خصي، وكان الخصي قد اهدى للمهدي قضيب من آس، فقال المهدي متغزلا فيه:

أهديت شبه قوامك الميّاس   غصنا رطيبا ناعما من آس
وكانما يحكيك في حركاته   وكأنما تحكيه في الانفـــاس[1]

---

[1] متز، الحضارة الإسلامية، 157/2.

[2] الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1956م، 175/14.

[3] ابن دحية، النبراس، 310؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 285/7.

[4] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 439/11؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 36/13.

[5] ابن خلكان، وفيات الأعيان، 151/4؛ الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد يعوض الله، وعادل احمد عبد الموجود، دار دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، 175/3.

[6] الخطيب البغدادي، الكفاية من علم الرواية، 160.

[7] المقري، نفح الطيب، 484/4.

[8] الخالدي، خالد يونس، الترف في المجتمع الاسلامي الاندلسي (92-668هـ/711- 1269م)، رسالة ماجستير في الجامعة الاسلامية، غزة، 1431هـ/2010م، 219.

[9] نفح الطيب، 184/1.

وكان لابن حزم الاندلسي (ت:456هـ/1064م) الذي كان يسير يوما بسكة الحطابين في مدينة اشبيلية الاندلسية مع صديق له اسمه: ابو عمر، فلقيهما غلام جميل الوجه فاعجب به ابن حزم ايما اعجاب خصوصا عندما رأى وجهه الجميل، فقال له ابن عمر: لم نر غير الوجه، وربما يكون ما تحت الثياب غير ذلك، فقال ابن حزم ابيات شعرية بهذا الموقف، منها:

وذي عذل فيمن سباني حسنــه   يطيل ملامي في الهوى ويقول

امن اجل وجه لاح لم تر غيره   ولم تدر كيف الجسم انت عليل

فقلت له: اسرفت في اللوم فاتئد   فعندي رد لو اشاء طويل[2]

والعجيب ان هناك من الاعلام من تغنى متفاخرا بهذه الجريمة وبفعله للفاحشة الشنيعة المعروفة باللواط بالخصيان والغلمان، ففي الاندلس ايام عهد المرابطين قال ابن عائشة الاندلسي- احد الادباء المعاصرين لابن خفاجة- ابياتا شعرية يصف فيها مجلسا له مع غلام يعشقه، فقال:

لله ليل بات عندي بـــه   طوع يدي من مهجتي في يديه

وبت اقيه كؤوس الطلا   ولم ازل اسر شـــــوقا اليــــه

عاطيته حمراء ممزوجة   كأنــــما تعصـــــر من وجنتيــه

وله بهذا الخصوص شعر آخر، قال فيه:

اذا كنت تهوى خده وهو روضة   به الورد غض والاقاح مفلج

فزد كلفـــا فيه وفـــرط صبابـــه   فقد زيد فيه من عذار بنفسج[3].

وفي العهد الموحدي في الاندلس سجلت ظاهرة التشبب بالغلمان حضورا ايضا وعلى الصعيد الرسمي، اذ اعاب ابن بسام الشنتريني (ت:542هـ/1147م) على الوزير ابن عبدون (ت:520هـ/1126م)، بانه كان في صباه يتعشقه رجل يقال له ابن مناذر[4].

وكان خطيب جامع قرطبة ابو جعفر احمد بن يحيى الحميري الوزغي (ت:610هـ/1213م)، يعشق غلاما اسمه: عيسى، الا انه اعجب بغلام جاءه يقرأ عليه واسمه: محمد، فعشقه، وانجذب قلبه اليه، فقال:

تبدلت من عيسى بحب محمد   هديت ولولا الله ماكنت اهتدي

وما عن ملال كان ذاك وانمـا   شريعة عيسى عطلت بمحمد[5].

والمدقق بهذه الابيات الشعرية يحكم على قائلها بانه قد وفق بان يكون مقرئا بجامع قرطبة، هذه المدرسة الفكرية العظيمة الا انه لم يكن بالمستوى الذي كان هو فيه، لانه منحرف حنسيا وفكريا، لاسيما بعد ان شبه هذين الغلامين بالنبي عيسى (ع) والنبي محمد (ص).

شاعت ظاهرة عشق الغلمان في المجتمع الاندلسي، الى الدرجة التي انقسم فيها الشعراء وعامة الناس الى فريقين احدهما ضد تلك الظاهرة وينهى عنها ويزجر المقبل عليها، وثانيهما مع تلك الظاهرة مؤيد لها ومشجع بل ومنغمس فيها،

---

(1) المقري، نفح الطيب، 577/1.

(2) ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م، 356/1.

(3) ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد، مطمح الانفس ومسرح التأنس في شعر اهل الاندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، 356- 357 .

(4) ابن بسام، الذخيرة، 144/1 .

(5) ابن سعيد، المغرب، 220/1 .

واشار ابن بسام[1] الى ذلك بقوله: "... واما صفات المعذرين من الغلمان، فقد جرت خيول فرسان هذا الشان، بهذا الميدان، وتفننوا في ذلك نثرا ونظما، وتطاردوا فيه مدحا وذما".

2- دور الخصيان في الحياة الفكرية (علم الحديث والفقه).

فضلا عما تقدم ذكره يمكن القول أن عدد كبير من الخصيان برزوا في مجالات علمية عدة، ولعل أبرز تلك المجالات هو علم الحديث إذا إن الكثير منهم برع بهذا العلم وتداوله وسمعه ولقنه، ومن هؤلاء الذين برزوا بعلم الحديث:

أبو مريم الخصي كان معاصراً للرسول (ص)، وكان راوياً للحديث[2]، كما كان لنفيس أبو الرضا الخادم الخصي دور في رواية الحديث[3]، وتليد الخصي الذي كان مولى للخليفة عمر بن العزيز ويقال مولى لزبان بن عبد العزيز كان يحدّث عن مولاه الخليفة، ويروي عنه عدد من المحدثين، ومرثد الخصي كان مولى للخليفة عمر بن عبد العزيز، ومنصور أبو أمية الخصي خادم الخليفة عمر بن عبد العزيز، حدّث عنه بالفقه جماعة كثيرون[4]، لم يقصر الخصيان على علم الحديث حسب، بل اشتهر بعضهم بالفقه وتفقهوا كل حسب المذهب الذي هو عليه من المذاهب الإسلامية، ومنهم كافور بن عبدالله ابو الحسن الحبشي الخصي الليثي الصوري، تفقه بمدينة صور[5]، ولؤلؤ بن عبدالله ابو محمد الخصي، وكان مولى ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون، تفقه في الدين وحدّث عن جماعة من العلماء بعد رحلة قام بها إلى دمشق، ومن المتفقهين في الدين سريع بن عبدالله الواسطي الخصي[6] كنيته ابو عبدالله الجمّال الخصي[7]، والشيخ محمد بن علي بن محمد المهند السقا الخصي[8]، اهتم بالعلوم الدينية خصوصاً الحديث منها[9]، وعلقمة بن عبدالله الخصي التميمي الذي تفقه بالدين وعلم الحديث[10].

مما تقدم من القول لخصوص أولئك الخصيان الذين ساهموا برواية الحديث وتعلمه وحفظه، يمكن القول إنهم كانوا يمارسون حياتهم الاجتماعية والفكرية بشكل ينم عن شعور وإحساس بالمسؤولية تجاوزوا خلالها النقص العضوي الحاصل لديهم والذي كان من الممكن ان يؤثر سلبا عليهم كما هو حال غيرهم ممن تعرضوا لهذه العاهة.

3- أسباب الخصاء.

تعددت الأسباب التي أدت إلى حصول عملية الخصاء بحسب المسببات التي تقف ورائها، ومن الاسباب التي تقف وراء عملية الخصاء هي:

3- أ- الرغبة في الاختصاء طلبا للعفة وابتعادا عن الرذيلة: بما إن النفس الإنسانية مجبولة على حبها للملذات وخصوصا الشهوة الجنسية بعدّها من أخطر الملذات التي من الممكن أن تؤدي بصاحبها إلى ارتكاب الرذيلة والنزول إلى الهاوية، لذلك كانت الرغبة عند العديد من الناس بالاختصاء هروباً من الوقوع بالعمل القبيح، ومنذ العصور القديمة اكتشف الإنسان ذلك، إذ تحدث يسوع عن الخصيان الذين خصوا انفسهم، أي أنهم اختاروا العِفَّة، واستنكر هذا العمل بالقول: "لا

---

[1] ابو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997م، 144/1.

[2] ابن عدي، الكامل، 156/1.

[3] ابن ماكولا، إكمال الكمال، 361/7.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 16/11. ترجمة رقم: 991، 206/57. ترجمة رقم: 7300، 359/60. ترجمة رقم: 7681؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 145/5.

[5] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 7/50. ترجمة رقم: 5777، 330. ترجمة رقم: 5857؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، 415/1.

[6] المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، 497/2.

[7] المزي، تهذيب الكمال، 226/10. ترجمة رقم: 2192؛ ابن حجر، تقريب التهذيب،341/1.

[8] الخصي: نسبة إلى قرية كبيرة بنواحي بغداد بين حربى وتكريت، تغنى بها الشعراء الخلعاء. الحموي، معجم البلدان، 374/2.

[9] الحموي، معجم البلدان، 374/2.

[10] ابن حبيب، محمد البغدادي، كتاب المنمّق، علق عليه خورشيد احمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1963م، 395.

يقبل هذا الكلام إلا الذين أعطي لهم أن يقبلوه..."[1]، وهكذا كان موقف المسيحية واضحاً تجاه من يُقْدِم على إخصاء نفسه نفسه بقصد العفّة.

وتحدثت المصادر عن إقدام بعض النصارى على إخصاء اولادهم ونذرهم أو إيفادهم إلى بيت العبادة وجعله خادما وسادناً، وكان الروم ممن أقدموا بشكل كبير على ذلك[2].

إلا أن أكثر من مارس هذا العمل بالقصد المذكور هم الصابئة الذين اشتهروا بذلك اشتهاراً كبيراً، وذلك لأن معظم عُبّادهم وزُهّادهم يطلبون ذلك لأنفسهم ويقدمون على تنفيذه طلباً للديانة والعبادة وابتعاداً عن المحارم والآثام، إلا ان ما رواه ابو المبارك الخصي الصابئي حسب قول الجاحظ[3] الذي يقول عنه: "وكان قد أربى على المائة، ولم أسمع قط بأغزل منه، وان كان يصدق عن نفسه فما في الأرض أزنى منه...".

وينقل الجاحظ عن أبي المبارك الخصي الصابئي مقتطفات من حديثه يوضح فيها رغبة الخصي الصابئي بالنساء بعد الخصاء وجموحه نحو الرذيلة أكثر فقال: "... ألستم تعلمون أني قد أربيت على المائة، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهن الكبير، ونفاد الذَكَر، وموت الشهوة، وانقطاع ينبوع النطفة، قد أمات حنينه إلى النساء وتفكيره في الغزل... وينبغي ان يكون من دعاة الزهد في الدنيا، وفيما يحتويه النساء من جمالهن وفتنة النساك بهن، واتخاذ الأغنياء لهن، إلى خصى نفسه، ولم يكرهه عليه أب ولا عدو، وسباه سابٍ، أن يكون مقدار ذلك الزهد هو المقدار الذي يميت الذِكْر لهن... إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات، وإلى ما فيه من الألم، ومع ما فيه من الخطر... هذا وانتم تعلمون أني سملت عيني يوم خَصَيْتُ نفسي... فأني بعد جميع ما وصفت لكم لأسمع نغمة المرأة فأظن مرة ان كبدي قد ذاب، وأظن مرة انها [كبدي] قد انصدعت، وأظن مرة ان عقلي قد اخْتَلِس، وربما اضطرب فؤادي عند ضحك إحداهن، حتى أظن أنه قد خرج من فمي...".

النص السابق يؤكد أن الخصي تزداد مشاعره وأحاسيسه تجاه الجنس الآخر وذلك لفقدان الآلة التي يريد من وراء فقدانها كبح جماح نفسه وانفعالاته فيبقى الكبت الداخلي المتراكم حتى يولد منه عالة اجتماعية ومرض خطير على المجتمع، ويتضح أيضا من النصوص السابقة ان الخصي تبقى رغبته في النساء قائمة، وقد تزداد الرغبة إليهن مما لو لم يخصي نفسه لعدم وجود آلية التفريغ عن النفس الترويح الداخلي فتجده يتأثر حتى بالضحك والصوت دون النظر أو الملامسة والمجانسة.

واشتهر الصابئة بالخصاء بشكل كبير والنص الآتي يؤكد قولنا هذا: "وقد خصى نفسه من الصابئيين رجالٌ، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم، وصفاتهم وأحاديثهم..."[4].

وقد نهى الرسول الأكرم (ص) جماعة من الصحابة الذين رغبوا في الخصاء طلباً للعفة والزهد[5]، ومنهم الصحابي عثمان بن مظعون الذي رغب بالاختصاء فنهاه الرسول الأكرم (ص) عن ذلك[6].

3- ب- الخصاء كتصفية حساب.

نهى الدين الإسلامي عن المثلة والتمثيل ولو بالكلب العقور، إلا أن هذا النهي لم يكن مطبقاً عند العديد من المسلمين الذين استخدموا الخصاء والذي يعد واحداً من الوسائل المستخدمة بالتمثيل في الإنسان، بالضد أو العداء أو تصفية حساب، وفي التاريخ الإسلامي لدينا شواهد ودلائل ونصوص كثيرة تشير إلى ذلك منها: ان مملوكاً اسمه يسار الكواعب،

(1) الكتاب المقدس، العهد الجديد، 12/19.

(2) الجاحظ، كتاب الحيوان، 124/1.

(3) المصدر نفسه، 125/1-128.

(4) الجاحظ، كتاب الحيوان، 128/1.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 113/1؛ ايدي، الجوهرة في نسب النبي واصحابه العشرة، 10؛ الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 99.

(6) الجاحظ، كتاب الحيوان، 128/1-129.

وكان عبداً لبعض رجال العرب، وكان يتعرض ويتحارش ببنات مولاه، اللاتي نبهنه بعدم القيام بمثل هذا العمل مع بنات الأحرار، فلما تكرر ذلك الفعل منه واعدنه ليلاً ليقضي وطره منهن، وكن قد جلبن له موسى، فلما خلا بهن، قبضن وجببن مذاكيره (قضيبه وخصيتاه)[1].

وفي أيام الرسول(ص) كان غلام لزنباع بن روح الجذامي[2] اسمه: سندر[3]، وَجَدَه سيِّده يُقَبّل جارية له فعاقبه بان جَبّ ذكره وخصيته، وجدع أنفه، وصلم أذنه، ومن ثم أُعتق بأمر من الرسول (ص)[4].

وحصل أن خطب غلام اسمه سلاماني، إحدى بنات عقيل بني علَّفة، الذي أغضبه هذا العمل وحسبه تجرأ عليه فأمر بأن يكتف السلاماني ويدهن أسته[5] بالشحم، وألقاه في قرية النمل، فأكل النمل خصيتيه وورم جسده، ثم أطلقه، وقال له: يخطب إليّ عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م) فأرده وتجترئ، انت عليَّ[6].

وفي أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان (96- 99هـ/714-717م)، أمر بان يُجبُّ ذَكَر غلام وخصيتيه، لأنه سمعه يغني بالقرب من دار الحريم بقصره[7].

وكان في عهد هِشام بن عبد الملك بن مروان (105- 125هـ/723-742م) على المدينة والياً اسمه عثمان بن حيان المري[8]، فوصله كتاباً من هشام بن عبد الملك يأمره بإحصاء المخنثين (اي عدّهم) فصحف قاريء الكتاب فقرأها: خصاء المخنثين بالخاء[9]، اذ ان النقطة وقعت على الحاء فصيرتها خاءاً، الا ان هناك من يقول انه بالفعل أمر بإخصاء المخنثين إذ ما فائدة إحصاء أو عدّ المخنثين بالنسبة للخليفة[10]، فاختلفت الآراء حول ذلك إلا أن قارئ الكتاب الذي قرأه لوالي المدينة قال: "وكيف يقولون ذلك [أي كيف يقولون المراد بها احصاء المخنثين أو عدّهم] ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة، كأنها سهيل[11]، أو تمرة صيحانيّه[12]، فقال اليقطري: ما وجه كتاب هشام في إحصاء عدد المخنثين؟ وهذا لا معنى له وما كان الكتاب إلا بالخاء المعجمة دون الحاء المهملة..."[13].

بعد أن ورد هذا الكتاب إلى والي المدينة الذي عمل على تنفيذ ما جاء به بأن أخصى المخنثين الموجودين في المدينة، والذين قالوا بعد الخصاء: "الآن صرنا نساءً بالحق"[14].

---

(1) الاصفهاني، الاغاني، 334/9؛ الشالجي، عبود، موسوعة العذاب، ط2، الدار العربية للموسوعات،بيروت، 1999م، 62/4.

(2) زنباع بن روح الجذامي: هو من اهل فلسطين له صحبة مع النبي ص، عاش الى ايام خلافة عمر بن الخطاب. الحربي، ابو اسحاق ابراهيم بن اسحاق، غريب الحديث، تحقيق: سلمان ابراهيم العاير، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي، جدة، 1984م، 7/3.

(3) سندر: عاش حتى ايام عبد الملك بن مروان، تمكن من جني مال كثير، وكان له ولد اسمه مسروج. ابن عبد البر، الاستيعاب لمعرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، 688/2.

(4) ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، 470/2؛ المقريزي، الخطط المقريزية، 136/2؛ الشالجي، موسوعة العذاب، 63/4.

(5) الاست: فتحة الُدبر. ابن منظور، لسان العرب، 307/2.

(6) الأصفهاني، الأغاني، 255/12.

(7) الهمداني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان، بيروت، 1959، 6/1؛ الشالجي، موسوعة العذاب، 63/4.

(8) كان عثمان بن حيان المري واليا على المدينة ايام خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (68-96هـ/687-714م)، حيث استمرت ولايته على المدينة خلال المدة (93-96هـ/711-714م). ينظر: زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة: د.زكي حسن بك وحسن احمد محمود، ط2، مطبعة دار الوثائق والكتب، القاهرة، 2008م، 35/1.

(9) الجاحظ، كتاب الحيوان، 121/1-122.

(10) الشالجي، موسوعة العذاب، 56/4.

(11) المراد هنا ان النقطة واضحة وكبيرة.

(12) الصيحاني: ضرب من التمر أسود وصلب المضغة. الجاحظ ، كتاب الحيوان، 122/1 هامش (1).

(13) الجاحظ، كتاب الحيوان، 122/1.

(14) المصدر نفسه، 122/1؛ الشالجي، موسوعة العذاب، 56/4.

وهناك من يورد هذه الحادثة أيام خلافة سليمان بن عبد الملك وليس أيام هشام[1]، وربما يكون ذلك صحيحاً إذ أن الأمر جاء بأن يحصى المخنثين في كل بلد، ولم تحدد المدينة فقط[2].

استمر خلفاء بنو أمية بممارسة هذا النوع من التعذيب، ففي أيام مروان الحمار الأموي (127-132هـ/744-749م) انتفضت حمص على حكمه سنة 127هـ/744م فحاصرها حتى طلب أهلها منه الأمان، فاستجاب لهم شريطة ان يسلموه احد الأحباش الموجودين فيها والذي كان يشتم ويسب مروان الحمار، وكان هذا العبد الحبشي يشدُّ ذَكَر حمار (يمسك قضيب حمار بيده) من قضيبه- ربما يكون قد قطع ذكر ذلك الحمار اذ لو لم يقطعه لا يمكن شده بذكره- ويشتم ويسب بني سُليم ويقول هذا لواؤكم ويشير إلى قضيبه وقضيب الحمار، اضطر أهالي حمص إلى إلقاء القبض عليه وتسليمه لمروان بن محمد الذي بدوره أعطاه لبني سليم الذين ما لبثوا ان قطعوا ذكره، وجدعوا انفه، ومثلوا به[3].

أما في أيام العباسيين الذين لم يختلفوا عن سابقيهم فقد عذب غلام سندي أيام الهادي (169- 170هـ/785-786م) باشد العذاب وأمر بطرد وإخراج كل سندي من أراضي الخلافة العباسية، وسبب ذلك ان احد أبناء المهلب بن أبي صفرة في المنصورة من بلاد السند، وجد زوجته مع غلامه السندي في وضع ارتاب منه، فعمل على قطع وجبّ ذكر ذلك الغلام السندي، الأمر الذي ادى الى ان يقوم الغلام بالانتقام لنفسه، وذلك بخطف ولدين لسيده وصعد بهما أعلى الدار، وهدد سيده بانه سيرمي بهما إن لم يَجُبَّ ذَكَر نفسه (قضيبه)، وبعد اصرار من ذلك السندي نفذ سيده المهلبي ما طلب منه وجبَّ ذَكَره أمام الغلام إلا إن ذلك السندي لم يسلِّم الولدين بل رمى بهما من اعلى الدار فماتا من وقتهما[4].

وفي أيام المتوكل الذي ألقى القبض على نجاح بن مسلمة[5]، سنة 245هـ/860، إذ بذل أعدائه الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك الفي دينار ليُسلِّم لهما نجاح بن سلمة، وبالفعل تم ذلك اذ عمل المتوكل على تسليمه اليهما، فعملا على ضربه بالمقارع مراراً وعذباه اشد العذاب، وعصرت خصيتاه عصراً حتى مات[6].

وبعد اشتداد النزاع بين الخليفة المهتدي والأتراك، حاول الخليفة التقرب إلى العامة، وجلس للمظالم وأباح دماء الأتراك وأموالهم، وخاض حروباً خاسرة معهم وقُتل سنة 256هـ بعصر خصيتيه ودوسها من قبل الأتراك وشهدوا انه مات سليماً وليس فيه اثر[7].

وظهر في سنة 257هـ/870 شخص استخدم أسلوب الخنق بالقتل فكان يخطف النساء ويقتلهن خنقاً ويدفنهن في داره التي سكنها ببغداد، وذلك ايام خلافة المعتمد، فالقي القبض عليه فضرب ألفي سوط ولم يمت فأمر أن يضرب الجلادون خصيته بالخشب ففعلوا حتى مات[8].

وفي جهة المشرق الإسلامي بعد ان فتح يعقوب بن الليث الصفار (ت:265هـ/878م)[1] شيراز ودخلها سنة 265هـ/869م، تم اسر أميرها علي بن الحسين، وعذبه بأنواع العذاب وعصرت خصيته[2].

---

(1) الشالجي، موسوعة العذاب، 4/55-56.

(2) الهفوات النادرة، 39-42، 89-91.

(3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، 327/7؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 333/5 .

(4) المسعودي مروج الذهب، 258/2؛ الشالجي، موسوعة العذاب، 64/4.

(5) كان نجاح بن مسلمة صاحب ديوان التوقيع ونديم المتوكل، وكان يخشاه معظم ارباب الدولة، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع، وموسى بن عبد الملك على الخراج. فأراد نجاح الايقاع بهما. راجع: الشالجي، موسوعة العذاب، 4/58-59 .

(6) الطبري، تاريخ الامم والملوك، 214/9، 217؛ مسكويه، تجارب الأمم، 554/6.

(7) المسعودي، مروج الذهب، 464/2؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 228/7-233؛ الكتبي، فوات الوفيات، 535/2؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 163.

(8) الطبري، تاريخ الطبري، 479/9 ؛ الشالجي، موسوعة العذاب، 60/4.

وعندما دخل بدر الجمالي إلى القاهرة عام 266هـ/879م، هرب منها عبد الله يحيى بن المدبر، بعد أن ارتدى زي المتسولين، وكان متزوجاً إحدى بنات الخليفة الفاطمي المستنصر، فالقي القبض عليه وقطع ذكره ووضع في فيه، وبعدها تم قتله[3].

وعندما خلع المقتدر من الخلافة وعيّن ابن المعتز خلفاً له سنة 296هـ/908م، تمكن المقتدر من استعادة الأمور إلى نصابها، وتم إلقاء القبض على ابن المعتز وأودع السجن، إلا انه قتل ليلاً بعصر خصيته، وتم تسليمه الى أهله[4].

حدثت فتنة القرامطة الذين تزعمهم أبو سعيد القرمطي، والذي بدوره دخل بحرب مع قبيلة ضبَّة، سنة 289هـ/901م وتمكن من الانتصار عليهم واخذ منهم خلقاً كثيراً وبنى لهم سجناً أودعهم فيه، ومنع عنهم الماء والطعام حتى مات أكثرهم، والباقين على قيد الحياة كانوا يأكلون لحوم الموتى، وعندما علم بذلك أمر بهم فاخصوا وأطلقوا فمات أكثرهم اثر عملية الخصاء[5].

لم تكن تصفية الحساب تشمل هذه الجوانب فقط، بل تعداه الأمر إلى أكثر من ذلك، بل شمل حتى المفكرين ورجال العلم فهذا الإمام النسائي الذي كان سنة 303هـ/915م في دمشق برحلة علمية، وقد سأل في جامع دمشق عن فضائل معاوية بن أبي سفيان، فقال: "أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس، حتى يفضل؟"[6]، وفي رواية انه قال ما اعرف له فضيلة إلا: "لا اشبع الله بطنك"[7]، الأمر الذي حدى بهم إلى أن يقوموا له ويدوسوه ومن ثم تعصر خصيتيه وتداس وحمل إلى الرملة ومات بسببها بعد أيام قليلة سنة 303هـ/915م[8].

وقتل ناصر الدولة الحمداني عمه سعيد بن حمدان والد الشاعر ابا فراس الحمداني بعصر مذاكيره من قِبَل إتباعه بعد أن أمرهم بذلك سنة 323هـ/934م[9].

أما ابن ماكولا ذلك المحدث الكبير فقد قتل نتيجة مؤامرة حبكت ضده من قبل رجلان وامرأة، فقتل بعصر خصيتاه سنة 422هـ/1030م[10].

وفي أيام السلطنة السلجوقية (447- 590هـ/1055- 1193م) تحديداً حكم السلطان السلجوقي (447-455هـ/1055-1063م) طغرلبك الذي كلف وزيره عميد الملك الكندري بخطبة امرأة له، إلا إن الوزير خطبها لنفسه وتزوجها الأمر الذي أثار حفيظة السلطان السلجوقي، الذي عمل بدوره على اخصاء وزيره ابن الكندري، ولم يقتله أو يسرحه، بل أبقاه بخدمته لحنكته الإدارية وبذلك قال الشاعر:

قال محا السلطان عنه بفعله	سمه الفحول وكان قرماً صائلا
قلت:اسكتوا فالآن زاد فحولة	لما غدا من أنثييه عاطلا

---

[1] يعقوب بن الليث الصفار: تمكن من تاسيس امارة اطلق عليها اسم: الامارة الصفارية ودخل بحرب مع الخلافة العباسية وتمكن من اسقاط الامارة الطاهرية التي اسست بمباركة الخلافة العباسية. للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الامم والملوك، 7/415-418؛ اليعقوبي، محمد بن يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ت، 2/502-507.

[2] ابن خلكان، وفيات الاعيان، 6/409- 410.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/22.

[4] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 18؛ ابن خلدون، العبر، 3/359.

[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا، 164.

[6] الشالجي، موسوعة العذاب، 4/6.

[7] النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب، خصائص امير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: محمد هادي الاميني، مكتبة نينوى الحديثة، د.ت، 23 .

[8] ابن خلكان، وفيات الاعيان، 1/77.

[9] ابن مسكويه، تجارب الامم، 1 /323-324.

[10] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 4/4 21.

والفحل يأنف ان يسمى بعضه أنثى لذلك جذها مستأصلا[1]

قام عماد الدين زنكي بقتل حسن البربطي الذي كان ضمن الحامية التي تترك لحماية النساء والاطفال عند خروج جيش الزنكيين فكان البربطي يتحارش جنسياً بالنساء فوصلت شكوى لزنكي فعمل حيلة[2] على التخلص منه، وأمر بان يقطع ذكره وخلع عينيه وصلبه ونفذ به ذلك.

واخذ الافرنج بعد دخولهم حلب سنة 518هـ/1124م يطبقون عملية الجب للذكر والخصيتين، فكانوا إذا اسروا احد المسلمين يقومون بقطع يديه ومذاكيره[3]، وقتل صاحب الموصل قسيم الدولة آقسنقر البرسقي سنة 520هـ/1126م، عندما عندما كان يصلي في الجامع فقطعت يداه ورجلاه وذكره حتى مات[4].

وخصي مجاهد الدين بهروز (ت:540هـ/1145م) صاحب تكريت من قبل أمير مدينة دوين، عندما اتهم بزوجة احد الأمراء، الأمر الذي أدى إلى الخروج من دوين واتجه إلى محمد بن ملكشاه السلجوقي[5].

كما استخدم الخصاء كعقوبة رادعة أحياناً، وان كان ذلك شرعاً غير جائز، ومثالنا على ذلك هو ان احد معلمي الصبيان المعروف بـ: يحيى بن ابي سعد البصري الذي خصي سنة 600هـ/1203م، بعد أن احضر جميع معلمين الصبيان ببغداد وتم خصائه ومن ثم حمله إلى المارستان (المستشفى)، وسبب ذلك هو انه لاط بصبي كان يعلمه الخط[6]. الخط[6].

وقام خمسة من الخدم بمهاجمة الملك المعز آيبك في مصر، عندما كان يغتسل في الحمام وربطوا مذاكيره بوتر (خيط) وسحبوه حتى مات وكان ذلك في عام 656هـ/1258م[7].

الكلام السابق يدلل لنا مدلولات واضحة بان الخصاء كان واحداً من وسائل التعذيب أو القتل، كعقاب لفعل معين أو عداء، فتارة يُجبّ الذَكَر والأنثيين مرة واحدة، وأخرى تقطع الأنثيين، وثالثة تعصر الخصيتين حتى الموت لكي لا يتم التعرف على آلية القتل أو طريقة القتل، وهكذا فان التعرض للذكر والأنثيين يمكن القول بأنهما واحدة من وسائل وأساليب تصفية الحساب مع الخصم استخدم بشكل واضح من قبل عدد من خلفاء وأمراء الدولة العربية الإسلامية وفي مختلف الأنحاء وعلى مر العصور.

3- ت- اللجوء للخصاء للحصول على المنافع المادية:

كما مورس الخصاء لأجل الحصول على المكاسب المادية أو الاستفادة من خدماتهم في القصور والبيوت إذ إن عدد من الأقباط النصارى في مدينة أسيوط كانوا يشترون صغار العبيد السود من أهاليهم الذين يضطرون أحياناً لبيعهم بسبب الفقر المدقع الذي يكون عائقاً في إمكانية تربيتهم فيضطرون لبيعهم للاستفادة من مبالغهم من جهة، ومن جهة أخرى للتخلص من نفقات عيشتهم فيعمل أولئك الأقباط على خصائهم وهم صغاراً وبيعهم بأسعار عالية[8].

---

[1] ابن الطقطقى، الفخري في الآداب السلطانية، 70؛ الشالجي، موسوعة العذاب، 57/4.

[2] حول ذلك التدبير يراجع: الذهبي، سير اعلام النبلاء، 516/1.

[3] الذهبي، سير اعلام النبلاء، 457/1.

[4] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 635/10.

[5] ابن خلكان، وفيات الاعيان، 256/1.

[6] ابن الدبيثي، الجامع المختصر، 121؛ الشالجي، موسوعة العذاب، 65/4.

[7] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، 91/1.

[8] متز، الحضارة العربية الاسلامية، 152/2 .

ومورس الخصاء مع الأطفال الذين يتم سبيهم وبيعهم في الحروب أو الكبار الذين يستعبدون جراء الأسر في الحروب، أو الأطفال الذين يتم اختطافهم من الشوارع والأسواق، فيتم خصائهم وبيعهم بأسعار عالية، أو يتم استخدامهم ليكونوا خدماً للحريم في قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء الميسورين(1).

استخدم اليهود الخصاء وباشروه بأنفسهم واتخذ بعضهم الخصاء وسيلة للرزق(2) وبالرغم من تحريم شريعتهم خصاء الحيوانات كالخيل والثيران، حتى انهم كانوا يضطرون لشراء الخيول والثيران المخصية من النصارى(3)، ففي الاندلس خلال خلال حكم المسلمين لها يجلب العبيد السود الصقالبة لمدينة خلق بجّاية(4) هي مدينة بشينا العاصمة القديمة لإقليم البيرة(5)، وكان اهل هذه المدينة من اليهود يعملون على خصاء هؤلاء الصقالبة وبيعهم على أغنياء المسلمين هناك(6)، كذلك كان يفعل اليهود في فرنسا إذ كانوا يمارسون الخصاء ويمتهنونه، وكان يهود ديِّر فردان الذي يعتمد بالتمويل على أموال العبيد الذين يخصون فيه إذ اشتهر يهود ديِّر فردان بتلك المهنة حتى أصبح ذلك الدير مصدراً مهماً من مصادر تزرويد البلدان الأوربية والإسلامية بالخصيان(7).

الفصل الثالث

الاوضاع السياسية والاجتماعية للمترجلة

في الدولة العربية الإسلامية

1- المترجلة في اللغة والاصطلاح:

تناولت المعاجم اللغوية مصطلح المترجلة بمدلولات لغوية عديدة منها: المرأة المذكرة، والرجلة، والمترجلة، ولكن بنهاية المطاف ياتي التعريف اللغوي بنتيجة واحدة، وهي: ان المراة المترجلة هي تلك المرأة التي تحاول التشبه بالرجال من خلال الزي والهيئة والحركات والفعال، ومن التعريفات اللغوية للمترجلة، قال ابن منظور(8): "ترجلت المرأة: صارت كالرجل"، ويقال: "امرأة مذكرة، اذا أشبهت شمائلها الرجل لا في خلقتها"(9)، ويقال رجلة للمرأة اذا كانت متشبهة في بعض احوالها(10)، وقيل: "... امرأة ذكرة ومذكرة ومتذكرة: متشبهة بالذكور "(11).

ووردت كلمة المترجلة او المذكرة في المعنى الاصطلاحي بانها المرأة التي تتشبه بالرجال وتحاول الدخول الى عالمهم وممارسة فعالهم، وقال العيني(12): "والمترجلات أي: المتكلفات في الرجولة المتشبهات بالرجال في حمل السيف والرمح".

2- موقف الشرع الإسلامي:

(1) الشالجي، موسوعة العذاب، 162/4.

(2) Dozy,Gesch,der Mauren in Spaine,11,P.38.

(3) Krauss,Talmudische Archaoljie ,11,P.116.

(4) بجاية: بالكسر، وتخفيف الجيم، وألف، وياء، وهاء: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في حدود سنة 457هـ/1064م. الحموي، معجم البلدان، 339/1.

(5) البيرة: بالفتح، هي بليدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس، ولها مرسى ترسى فيه السفن مابين مرسية والمرية، قال سعد الخير: وأما الحميدي فإنه فإنه قال هي بالأندلس ولم يزد. الحموي، معجم البلدان، 526/1.

(6) متز، الحضارة العربية الإسلامية، 153/2.

(7) Dozy,Gesch, der,P.116.

(8) لسان العرب، 266/11 مادة (رجل).

(9) الزبيدي، تاج العروس، 442/6 .

(10) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 189؛ ابن منظور، لسان العرب، 267/11؛ الزبيدي، تاج العروس، 263/14.

(11) ابن منظور، لسان العرب، 309/4. مادة (ذكر).

(12) ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد، عمدة القاري، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 42/22.

يعد الشرع الإسلامي الراصد والضابط والمنظم لحياة الأفراد والمجتمعات الإسلامية، ووضع ضوابط العيش التي يمكن من خلالها تنظيم حياتنا بشكل سليم، وخط الخطوط التي اذا تم تجاوزها فان ذلك التجاوز يعد في حالات معينة مسموحا ومباحا وحالات اخر مكروها وثالثة محرما وغير جائز العمل بها، لان القيام بالعمل المحرم من شانه التاثير سلبا على المجتمع برمته ناهيك عن التأثير على الشخص المخالف للقاعدة الشرعية الموضوعة، وظاهرة الترجل واحدة من الظواهر السلبية التي تصيب المجتمعات؛ لذلك وقف الشرع الإسلامي موقفه المصحح لها والراصد والمنبه لمساوئها، فوردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية مباركة ضد هذه الظاهرة، فجاء في الكتاب العزيز: "ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا"[1]، قال الاندلسي[2]: "وقيل تغيير خلق الله هو ان كل ما يوجده الله لفضيلة فاستعان به به في رذيلة فقد غير خلقه... والفتاة اذا ترجلت متشبهة بالفتيان. وكل ما حلله الله فحرموه".

وقال تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"[3]، واريد بذلك تحريم الحلال وتحليل وتحليل الحرام[4]، وفي الحديث: "انه [ص] لعن المترجلات من النساء، يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيآتهم، فأما فأما في العلم والرأي فمحمود، وفي رواية: لعن الله الرجلة من النساء، بمعنى المترجلة"[5].

وقال رسول الله ص وصحبه المنتجبين: "ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق والديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال"[6]، وقال ابن الاثير[7]: "والمرأة المترجلة... هي التي تتشبه بالرجال في زيهم وهيآتهم فأما في العلم والرأي فمحمود".

ولعن رسول الله ص: "... الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل..."[8]، لعن ص وصحبه المنتجبين: "...الرجلة من النساء"[9]، وقال الصنعاني[10]: "...ان الرسول صلى الله عليه [وآله وصحبه المنتجبين] وسلم كان يكره الرجلة".

ومن الأحاديث النبوية المباركة التي تنهى تشبه النساء بالرجال وتنكرهن بالملبس والفعال، ومنها:

---

(1) سورة النساء، الآية/119.

(2) ابو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، 369/3.

(3) سورة الروم، الآية/30.

(4) الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1995م، 195/3.

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 203/2؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 267/11.

(6). النهاية في غريب الحديث، 203/2.

(7) ابن حنبل، احمد، مسند احمد، دار صادر، بيروت، د.ت، 134/2؛ النسائي، سنن النسائي، 80/5؛ ابو يعلى الموصلي، احمد بن علي المثنى التميمي، مسند ابي يعلى، تحقيق: حسين سليم اسد، دار المأمون، دمشق، 1987م، 409/9؛ الطبراني، القاسم سليمان بن احمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 233/12؛ المعجم الاوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1995، 51/3؛ المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في السنن والاقوال والافعال، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م، 34/16.

(8) ابن حنبل، مسند احمد، 2/ 325؛ الطبراني، المعجم الاوسط، 296/1؛ النسائي، سنن النسائي، 379/5؛ ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، 63/13؛ العجلوني، اسماعيل بن محمد الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، 144/2؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الاوطار، دار الجيل، بيروت، 1973م، 117/2.

(9) المناوي، فيض القدير، 327/5؛ الشوكاني، نيل الاوطار، 2/ 117.

(10) ابو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، منشورات المجلس العلمي، دون مكان وتاريخ طبع، 488/7؛ الهندي، كنز العمال، 697/6، 384/16.

قال ابن شيبة الكوفي[1]: "أنه [ص وصحبه المنتجبين] لعن المتشبهات من النساء بالرجال"، وقال أيضا: "... ولعن من النساء المتشبهة المترجلة"[2]، وقال: "المتشبهة بالرجال من النساء ليست منا ولسنا منها"، قال العيني[3] في باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالنساء: "... ويدل على ذلك ذكر اللعن في... تشبه النساء بالرجال مثل لبس النعال الرقاق والمشي بها في محافل الرجال ولبس الأردية والطيالسة والعمائم ونحو ذلك مما ليس لهن استعماله...".

3- الجذور التاريخية للترجل:

تعد ظاهرة الترجل من الظواهر الاجتماعية التي سجلت حضورا في المجتمعات المختلفة ومنذ العصور القديمة، حيث ان هذه الظاهرة الاجتماعية مورست باشكال مختلفة تارة عن طريق التزيي بملابس الجنس الآخر، وتارة عن طريق الفعال والتصرفات التي تقوم بها المرأة، والتي تحاول من خلالها الدخول الى عالم الرجال، مثل: خشونة الصوت وطريقة المشي، وعملية استعراض العضلات محاولة من خلال ذلك ايهام الاخرين بانها رجل، ولابد من القول بان هناك فرق بين ان نقول ان هذه المرأة شجاعة، وبين القول عنها انها مترجلة، فالمرأة الشجاعة لاعلاقة لفعلها والعمل الذي تقوم به بظاهرة الترجل، والمرأة الشجاعة ينظر لها المجتمع باجلال واحترام واكبار، اما المترجلة فان المجتمع لا يتقبل فعالها ولا يحترم وجودها بهكذا هيئة، وسنحاول توضيح الدور الذي تمارسه المرأة المترجلة من خلال النصوص التاريخية التي تمكنا من الحصول عليها بطيات المصادر التاريخية، وكتب الادب والمصادر ذات العلاقة.

3-1- الترجل قبل الإسلام.

ظهرت في المجتمعات الإسلامية ظاهرة تنكر الرجال بزي النساء، وتنكر النساء بزي الرجال ولباسهم، ولابد من القول بأن هذه الظاهرة لم تظهر لأول مرة في المجتمعات الإسلامية، بل هي ظاهرة وجدت بثقافات عديدة سابقة، فعلى سبيل المثال، ورد في النصوص المسمارية القديمة ان الرجل يحك قضيبه والمرأة تحك فرجها وكان السحاق معروفا بين النساء مثلما هو مع الرجال حيث تكلمت عنه النصوص المسمارية، كما ان بعض الالواح والاختام فسرت على انها تمثل حالات للجماع (في القبل وكذلك في الدبر) حيث اقترح البعض انها تمثل السحاق[4] ، الاّ ان حب المرأة للمرأة أي الحب السحاقي السحاقي (مضاجعة الاناث مع الاناث) كان غير معروف بوضوح[5]. حيث يبدو ان النساء في بلاد الرافدين كن طبيعيات بشكل واضح بان تتخذ من الذكر حبيباً لها وهناك تلميح يشير الى السحاق ، جاءنا من نصوص التنبؤات التي عثر عليها في مكتبة اشوربانيبال في نينوى حيث نقرأ ما نصه: "اذا ركب كلب على كلب فيرتكب النساء السحاق"[6] ، وقد يكون السبب الذي يدفع النساء للسحاق هو ان التخنث الذي يصيب الرجال ويجعل البعض منهم يمثل دور الرجل ويمارس الفعل مع الآخر الذي يمثل دور المرأة (المخنث)، فان ذلك سيولد اكتفاء الرجال بالرجال، مما يؤدي الى اقدام النساء الى ممارسة الجنس فيما بينهن وبالتالي سيكون بعضهن المترجلة التي تؤدي دور الرجل والاخرى التي تؤدي دور المرأة، وهكذا تكتفي النساء بالنساء، واورد ساغز[7] نصا قال فيه: "ان رجلا... كان يقول لزوجته... انت ستكونين الرجل ولذلك دعيني امثل دور المرأة ومع ذلك فقد كان تبادل الادوار معروفا في بابل وربما في آشور".

وفي ايام النبي سليمان عليه السلام أرسلت الملكة بلقيس إلى النبي سليمان مجموعة من الجواري بهيئة الغلمان ومجموعة من الغلمان بهيئة النساء، وطلبت منه بهذا الامتحان ان يعرف الغلمان ويميزهم عن الجواري، وتناقلت هذه

(1) عبد الله بن محمد بن عثمان، المصنف، تحقيق: سعد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1989م، 236/6 .

(2) فيض القدير، 343/5.

(3) عمدة القاري، 41/22.

(4) ساغر، هاري، عظمة آشور، ترجمة: خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو، دار رسلان، دمشق، 2001م، 202, 206.

(5) Bottero, 1992, p.97 .

(6) ساغر, عظمة آشور, 207، 362 .

(7) هاري، عظمة آشور، 202 .

الرواية كتب التفسير والتاريخ، ونص الرواية هو: "أنها [الملكة بلقيس ملكة سبأ] عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري الأقبية(1) والمناطق(2) وألبست الغلمان في سواعدهم أساور من الذهب، وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا(3) وشنوفا(4) مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة(5) والغلمان على خمسمائة برذون(6)..."(7).

وقد عمل النبي سليمان (ع) لاجتياز هذا الاختبار بأمر يدل دلالة واضحة على علمه بأسرار وخفايا الأمور التي ليس من السهل ان يستدل عليها احد الا الراسخون بالعلم، وقيل بهذا الخصوص: "ميّز [النبي سليمان (ع)] بين الجواري والغلمان بان أمرهم ان يغسلوا وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه، والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصب الماء صباً والغلام يحدر الماء على يده حدراً، فميز بينهم بذلك"(8).

مما تقدم يتضح بشكل جليّ الزيّ الذي يلبسه الرجال ويميزه عما تلبسه النساء، علاوة على ذلك يبيّن ما يركب الرجال وما تركب النساء، كذلك فعال كل جنس من كلا الجنسين من خلال القيام ببعض الحركات التي تشبه كل جنس بها وتنكر من الجواري والغلمان.

وكانت الملكة بلقيس بحسب ما ذكر عنها في الكثير من المصادر(9) امرأة شعرانية، وان ساقيها مشعرتان والدليل على على ذلك هو ان النبي سليمان عليه السلام قبل ان يتزوجها طلب مساعدة الجن بإيجاد طريقة لإزالة الشعر عن ساقيها، فصنعوا له النورة التي تستخدم بالحمام لإزالة الشعر عن ساقيها، وروي بان الملكة بلقيس كانت زبّاء هلباء، والزبّاء هي الكثيرة الشعر والهلباء الطويلة الشعر(10)، وربما هنا يقصد بالشعر ليس شعر الرأس بل الشعر الموجود على جسم بلقيس

---

(1) القباء: الجمع أقبية، وهو رداء يلبس، وتقبيت قباء، اذا لبسته. الجوهري، الصحاح، 2458/6. ويقال ان أول من لبس القباء هو النبي سليمان ﷺ. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 203/4؛ ابن منظور، لسان العرب، 198/6. والقباء ما يشدّ به الإنسان وسطه. ابن منظور، لسان العرب، 355/10.

(2) المناطق: وهو لباس تلبسه المرأة على ان تقوم بشد وسطها بنطاق، وأول من لبسه ام إسماعيل الخليل، وكانت أسماء زوج النبي بنت أبي بكر تسمى ذات النطاقين لأنها كانت تشد احدهما على وسطها وتشد بالآخر طعاما لتحمله الى النبي وابا بكر وهما في الغار ويقال سميت بذلك لأنها عمدت على نطاقها فشقته الى نصفين تمنطقت بأحدهما وحملت الطعام بالآخر. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 75/5؛ ابن منظور، لسان العرب، 355/10؛ الزبيدي، تاج العروس 459/13. والنطاق: هو ان تلبس المرأة ثوبها، ثم تشدّ وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله على الاسفل عند معاناة الاشغال، لئلا تعثر في ذيلها، ويقال هو شقة او ثوب تلبسه المرأة ثم تشدّ وسطها بحبل، ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة، ويقال للمرأة انتطقت او تنطقت اذا شدّت نطاقها على وسطها. ابن منظور، لسان العرب، 355/10.

(3) الاقراط: مفردها قرط، وهو نوع من انواع حلي الاذن. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، 41/4؛ الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، د.ت، 378/2؛ الزبيدي، تاج العروس، 372/10.

(4) شنوفا: مفرده شنف وهو نوع من قرط الاذن او حليها. الجوهري، الصحاح، 1383/4؛ ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، 505/2. وقيل الشنف ما يعلق باليسرى والقرط باليمنى. الطريحي، مجمع البحرين، 546/2.

(5) رمكة: الرمكة الانثى من البراذين، وهي التي تتخذ للنسل والجمع رمك او ارماك. ابن منظور، لسان العرب، 434/10.

(6) برذون: دابة للحمل الثقيل لا تكون الا من الخيل، والمقصود هنا الخيل غير العراب. الزبيدي، تاج العروس، 54/18.

(7) الثعلبي، تفسير الثعلبي، تحقيق: ابو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2002م، 207؛ البغوي، حسين بن مسعود، تفسير البغوي المسمى بـ: معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، د.ت، 417.

(8) البغوي، تفسير البغوي، 419/3.

(9) الطبري، جامع البيان، 207/19؛ تاريخ الأمم والملوك، 349/1؛ ابن ابي حاتم، الرازي، تفسير ابن ابي حاتم، تحقيق: اسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت، 2894/9؛ السمرقندي، ابو الليث، تفسير السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ت، 585/2؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق الكبير، 75/69؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 237/1.

(10) ابن ابي حاتم، تفسير ابن ابي حاتم، 2895/9.

باعتبارها شعرانية وقد استخدموا النورة لأول مرة من اجل ازالة الشعر الموجود على ساقيها وعد هذا الاستخدام الاول للنورة كمزيل للشعر في التاريخ.

وقال احد المؤرخين المحدثين[1] بهذا الخصوص: "... لكن استخدام النورة لإزالة الشعر عن الجسد او عن ساق بلقيس لم يكن هدفه، عند المؤولين، تحسين مظهر المرأة ليناسب الذوق الجنسي الذكوري فحسب، وانما ايضا القول بان [النبي] سليمان – الرجل، انهى سلطة المرأة عبر تجريدها من الشعر، أي من مصدر السلطة".

من النص السابق يمكن القول بان الشعر على الساقين والجسم الشعراني شيء خاص بالرجال ورمزية من رمزيات الذكورة لا تتناسب مع المرأة التي يجب ان تزيل هذه العلامة عنها ان كانت موجودة لتبقى محافظة على الحدود الفاصلة بينها وبين الجنس الثاني.

كما ان الملكة زينوبيا ملكة تدمر كانت ترتدي العمامة على رأسها، وكثيرا ما كانت تترك ذراعها مكشوفة، ويذكر بان سيرتها اقرب الى سيرة الرجال منه الى النساء، اذ انها خلال اسفارها لم تركب سوى الخيل، ويندر ان ترى محمولة على هودج، كما انها كانت دائما تجالس الرجال من القادة والأعوان، بل حتى الرجال من الأمم الأخرى كالفرس والأرمن، واذا استعرضت جيشها كانت تمر أمام الصفوف على ظهر جوادها مرتدية لباس الحرب وعلى رأسها الخوذة الرومانية مجردة إحدى ذراعيها كما يفعل المقاتلين اليونان[2] القدماء[3]، وكانت مولعة بالصيد والقنص[4]، وذكر اليعقوبي[5] عدة روايات، روايات، منها قوله انها: "كانت شديدة الزهادة بالرجال"، فخطبها احد الملوك فقال له اخاه: "لو كانت ممن تنكح الرجال لسُبِقتَ إليها"، وعندما خطبها قالت له: "اقبل اليَّ أزوجك نفسي"، فعندما هم بالتوجه اليها قال له اخاه: "لم أرَ رجلا يزف الى امرأة قبلك"، وقال الطبري[6]: "... حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فإذا هي مظفورة الاسب[7]". وهذا دليل على على عدم الرغبة الحقيقية منها للاقتران به، بل ارادت ان تقتص منه تتاخذ ثار ابيها منه لانه كان قد قتله.

مما تقدم يمكن القول فيما يتعلق بلبسها للعمامة التي تعتبر من ملابس الرأس الخاصة بالرجال، واذا لبستها المرأة بمعنى انها تتكرت بزي الرجل، فان طبيعة عملها كملكة يتوجب ان تلتقي بالرجال والقادة والسفراء من الأمم الأخر، الا أنها بطبيعة الحال ونتيجة لما تمارسه من سلطة باعتبارها راس الهرم في الدولة قد أشعرتها بالقوة والسطوة الى الدرجة التي أصبحت فيها لا تبالي بارتداء ما يلبسه المقاتل البطل الذي يزج نفسه بصولة الميدان بجواده وخوذته الحديدية وعدة حربه مكشوف الذراع، وكشف الأذرع هو الآخر من المظاهر الذكورية التي يعاب على المرأة القيام بها، كما ان الصيد والقنص هو من فعل الرجال لا من فعل النساء لأنه بحاجة الى قوة بأس ومطاولة بالمطاردة وربما هاجم الوحش المراد صيده الصياد الى الدرجة التي يحتاج بها الصياد للدفاع بدل الهجوم.

ومورست في مكة قبل الإسلام أيام مواسم الحج طقوس أشبه ما يمكن بالطقوس الدينية ووصفها بهذا الوصف لارتباطها بموسم الحج، إذ تتنكر النساء بزي الرجال ويطوفنّ في شوارع مكة وأزقتها جيئة وإيابا يبحثن عن المتخلفين من الرجال عن موسم الحج فيخرجنهم بالاكراه إلى الطواف وأداء المراسم المتعارف عليها آنذاك[8] .

---

(1) منى، زياد، بلقيس امرأة الالغاز وشيطانة الجنس، ط2، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 1998م، 90.

(2) ربما كان تقليدها لزي القائد اليوناني ناتج عن ان امها كانت بالاصل يونانية من ذرية كيلوبوترا ملكة مصر التي تزوجها امبراطور اليونان. الزركلي، الاعلام، 41/3.

(3) كحالة، د. عمر رضا، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ط2، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1959م، 128/2، 133– 134.

(4) الزركلي، الاعلام، 41/3.

(5) تاريخ اليعقوبي، 208/1.

(6) تاريخ الامم والملوك، 443/1؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 347/1.

(7) الاسب: هو شعر الإست (الإست هو فتحة الدبر) ويقال شعر الفرج. الجوهري، الصحاح، 88/1؛ ابن منظور، لسان العرب، 1/ 213؛ الفيروزابادي، القاموس المحيط، 36/1.

(8) قرامي، آمال، الاختلاف في الثقافة الاسلامية دراسة جندرية، دار المدار الاسلامي، بنغازي، 2007م، 413 هامش 144.

3-2- الترجل المسموح به في المجتمع الإسلامي.

كان المجتمع الاسلامي واحدا من المجتمعات الكثيرة التي سجلت حضورا بارزا في تاريخ العالم، ولم يكن بعيدا عن الامراض الاجتماعية التي تصيب المجتمعات، فهو مجتمع لا يختلف عن غيره من المجتمعات الانسانية، فالافراد الذين يتكون منهم هذا المجتمع متعددي الثقافات والقدرات والامكانيات والاجناس والاصول العرقية، متاثرين بعوامل بيئية ووراثية تساعد هذه العوامل على تكوين وتشكيل شخصية كل فرد، ومن هذا يمكن القول بان المجتمع الاسلامي ظهرت فيه مظاهر اجتماعية سلبية ومن هذه المظاهر هي ظاهرة الترجل عند النساء، والتي سنتناولها من خلال ماتم الوصول اليه من معلومات في المصادر التاريخية والادبية.

كان الإمام علي (رض) قد لجأ الى مثل هذا العمل بعد انتهاء معركة الجمل سنة 36هـ/656م، فاستخدم طريقة التمويه بان بعث مع أم المؤمنين عائشة (رض) من البصرة إلى المدينة عدد من النساء بعد أن أكرمها وأشار المؤرخون إلى ذلك بالقول: "...أكرمها [عائشة] وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف... فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة"[(1)]، وكان معهن أخيها محمد بن أبي بكر[(2)].

وكانت نساء الخوارج يخرجن بزي الرجال إلى الحرب مع أزواجهن متقلدات السيوف مدربات على القتال يقاتلن عدوهن ويخضن المعركة جنباً الى جنب مع أزواجهن وذويهن دون أن يعرفهن الخصم متشبهات بالرجال من حيث اللباس والفعال[(3)]، وأورد ابن اعثم الكوفي نصا أكد ما ذهبنا إليه من القول من ان نساء الخوارج كنّ يخضن الحرب مع الرجال متنكرات بزيّ الرجال دون ان يعرف احد بانهن نساء، وذلك عند حديثه عن المعارك التي دارت رحاها بضواحي الكوفة وداخلها ايام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي عليها (73- 95هـ/692- 713م)، وكان زعيم الخوارج هو شبيب بن يزيد[(4)]، يزيد[(4)]، فقال: "... ثم ركب شبيب ومعه أمه يقال لها الجهيرة في امرأة من نساء الخوارج ومعه أيضا امرأته [غزالة]. قال: وكانت غزالة من سبي أصفهان[(5)]، قاتلت غزالة ومعها خمسون امرأة من نساء الخوارج، قال فسار شبيب أيضا في عسكره ومعه مائتان وخمسون امرأة من نساء الخوارج، قد تقلدن السيوف وفي أيديهن الرماح... واشتبكت الحرب بين الحجاج وشبيب... وحملت غزالة امرأة شبيب فيمن معها من النساء وحمل أصحاب شبيب معهن وانهزم الناس من بين أيديهن حتى صار الحجاج الى باب قصره"[(6)].

وبهذا الموقف انشد الشاعر أبياته المشهورة فقال[(7)]:

صدعت غزالة قلبه بكتيبة تركت مسامعه كأس الدابر

---

(1) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، بيروت، 1959م، 23/1.

(2) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 64/1.

(3) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 210؛ ابن طيفور، ابو الفضل بن ابي طاهر، بلاغات النساء، د.ت، 139؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق دمشق الكبير، 498/43.

(4) شبيب بن يزيد: هو شبيب بن يزيد بن نعيم المكنى بـ: ابي الصحارى، تولى زعامة الفرقة الخارجية الصفرية بعد مقتل صالح بن مسرح سنة 76هـ/695م. ابن قتيبة، المعارف، 410؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 56/5؛ الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر، الملل والنحل، تقديم: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2008م، 127/1؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 148/4.

(5) اصفهان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمتها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الاسراف، وأصبهان: اسم للإقليم بأسره. الحموي، معجم البلدان، 206/1.

(6) كتاب الفتوح، 59/7- 62، 65.

(7) ابن قتيبة، المعارف، 411؛ الازدي، عبد الغني، كتاب المتوارين، تحقيق: مشهور حسن محمد، دار القلم، دمشق، 1989م، 73؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 455/2؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، 417/5؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 60/16.

ليث الخوان[1] وبالحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلاّ خرجت الى غزالة في الوغى اذ صار قلبك في جوانح طائر

واستخدمت النساء في بعض الأحيان لخداع العدو اثناء الحروب وامرن بالتشبه بزي الرجال لإيهام العدو بكثرة العدد، وذلك من خلال لبس النساء ملابس الرجال والظهور على الأسوار بأسلحتهن فيخدع العدو ويعتقد بأنهن رجالا، الأمر الذي يزيد من إرباك العدو الذي سيتوقع بان خصمه قد تأهب واعد العدة للمواجهة[2].

3-3- الترجل غير المسموح به في المجتمع الاسلامي.

تناولت العديد من الروايات الترجل الذي مارسته عدد من النساء، ولكن يصعب الفصل حينها إن كانت المرأة بالفعل مذكرة مترجلة أو متهمة بالترجل، فالنصوص التي وصلتنا تصف المرأة بأنها سليطة اللسان، ولديها القدرة على مواجهة الرجال ومضاهاتهم، أو عندما تتصرف بحرية وتعيش نمط حياة من المفترض انه خاص بالرجال، كما انها تعد مذكرة أذا أصبحت أنوثتها غير خالصة وغير متلائمة مع تصوّر المنظومة الاجتماعية لها، كأن يكون لها لحية أو صوت خشن وأجّش خالٍ من الرخامة، وهذا دليل على ان مفهوم المترجلة والترجل يعمل على حالات عديدة، من شأنها أن تكون بها المرأة في حالات غير محمودة فيها ومحمودة عند الرجال[3].

ومن الجدير بالذكر ان ظاهرة المترجلات من النساء كانت موجودة في عصر ما قبل الإسلام، إذ كانت شائعة في جزيرة العرب، وبقيت معروفة في الإسلام، والترجل ظاهرة معروفة في الثقافات الأخر وانتقلت من بلاد فارس ومن القسطنطينية عن طريق ما يُجلب من الوصائف والجواري من تلك البلاد ولاسيما أيام العصر الأموي[4].

وقد قامت العديد من فتيات البدو بالتشبه بالرجال في الملبس والتعمم والتلثم، وفي نمط العيش وركوب الخيل، والقنص والصيد، وتقلد السيوف واعتلاق الرماح ومقابلة الرجال في ميدان الحرب[5]، ومعاقرة الخمر، مفضلات كل ذلك على الغزل الغزل والطبخ والمهام المحددة للنساء[6]، وهنا يمكن القول ان نمط العيش في القبائل التي تقدس القوة، والخشونة التي اعتدن عليها تلك الفتيات منذ الطفولة، قد أهلهن واعدهن للحرب والقنص وركوب الخيل، وأورد الأصفهاني[7] بان منهن من من تظهر بمظهر الفارس تصارع الحُمر الوحشية وتغني منتشية بالسكر والتحرر في نمط العيش، وذكر الأصفهاني[8] ان أم سعيد الاسلمية (ت:63هـ/682م)[9] وابنة يحيى بن الحكم[10] بن أبي العاص، كانتا في المدينة: " من أمجن النساء، ... ... تركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما[11]، فقال معاوية لمروان بن الحكم: اكفني بنت أخيك، فقال: افعل. فاستزارها وأمر ببئر فحفرت في طريقها وغطيت بحصير، فلما مشت عليه سقطت في البئر فكان قبرها".

---

(1) الخوان: هو رقاقة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام. الفراهيدي، العين، 117/7.

(2) المقري، نفح الطيب، 264/1.

(3) قرامي، الاختلاف في الثقافة الإسلامية، 419 .

(4) الزيات، حبيب، المرأة الغلامية في الإسلام، مجلة المشرق، عدد/50 لسنة 1956م، 156.

(5) الباز، محمد، حدائق المتعة فنون الجنس عند العرب، 123- 124. WWW.Ktobarabia.com.

(6) قرامي، الاختلاف في الثقافة الإسلامية، 420.

(7) الأغاني، 171/11- 173.

(8) الأغاني، 279/4.

(9) ام سعيد الاسلمية: للمزيد عنها، يراجع: الاصفهاني، الاغاني، 279/4.

(10) بنت يحيى بن الحكم: هي ابنة يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس الأموي. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 362/57. ولاه عبد الملك بن مروان المدينة المنورة سنة 75هـ/694م. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 40/5.

(11) الخلاخيل: جمع خلخال، والخلخال حلي معروف خاص بالنساء، وهو الحجل.ابن فارس، ابو الحسين احمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1983م، 140/2.

يتضح من النص السابق ان فروسية المرأة وإقدامها على الخروج من أهم الحجج المعتمدة لأدانتها وعندما كانت المرأة تشارك الرجل في الغزو، فان حرص المسلمين على الفصل بين الجنسين أدى إلى منعها من القيام بأدوار مركزية.

ولكن يبدو ان ظاهرة الترجل عملت بها الفتيات الشابات وحاولن الخروج من المنظومة الاجتماعية، ولكن هذه الظاهرة عندهن مؤقتة، فغالباً ما تنتهي المترجلة من الفتيات إلى قفص الزوجية حيث تروض من رجل شديد الغلضة، يردها إلى نصابها الأول[1]، وبهذا الخصوص ذكر الزبيدي[2] انه: "كانت امرأة تغزو... هي رقاش الكنانية كانوا يتيمنون برأيها، وكانت كاهنة لها حزم ورأي، فاغارت طيء . وهي عليهم... فظفرت بهم وغنمت [وسبت][3] وكان فيمن اصابت من اياد شاب جميل، فاتخذته خادما، فرأت عورته، فاعجبها، فدعته الى نفسها فحبلت، فذكر لها الغزو، فقالوا هذا زمان الغزو فأغزي ان كنت تريدين الغزو، فقالت: رويد الغزو ينمرق، فأرسلتها مثلاً[4]، أي امهل الغزو حتى يخرج الولد[5]، ثم جاءوا لعادتهم فوجدوها نفساء مرضعا قد ولدت غلاما، فقال شاعرهم[6]:

نبئت ان رقاش بعد شماسها حبلت، وقد ولدت غلاما اكحلا

فالله يحظيها ويرفع بعضها والله يلقحها كشافا مقبلا

كانت رقاش تقود جيشا جحفلا فصبت وأحر بمن صب ان يحبلا

النص المتقدم يدلل دلالة واضحة بان المرأة المترجلة والمتنكرة للذكورة والفروسية اذا ما حصلت على زوج ترغب فيه وتنجب منه الأولاد فإنها ترجع الى طبيعتها التي جبلت عليها بالرغم من فحولتها مدة من الزمن.

كما ان المجتمع عد ركوب الخيل والتسابق والغزو في الحرب من الأنشطة الذكورية التي تصقل مواهب الفتيان وتكسبهم القوة والمهارة، أي عملية منع وتشكيل لقواهم الرجولية وفحولتهم، وبالمقابل فان محاولة المرأة التعدي على هذه الأنشطة بمعنى محاولة لسلب مقومات الرجولة من جنس الذكور التي تمارسها المرأة بحد ذاتها تعدٍّ على أنوثة المرأة نفسها بسلب النعومة واللين من جسدها وتحويله شيئاً فشيئاً من صفاته الحقيقية إلى صفات الجنس الآخر، ومن ثم تقليص المسافة بين الجنسين وهذا بحد ذاته يولد تهديداً للقدرة على التمييز بين الذكر والأنثى[7]، كما ان المجتمع الإسلامي بمنظومته الاجتماعية رفض ركوب المرأة على الفرس أو الخيول، معللين ذلك النهي أو الرفض لقول الرسول (ص): "لعن الله الفروج على السروج"[8]، وبما ان القواعد الفقهية والاجتماعية فرضت على المرأة أن تكون متسترة محتشمة فان مثل هذا هذا الفعل يعد قبيحاً لأنه يخرجها عن الحشمة والتستر والحجب عن الرجال لاسيما منهم الأجانب والعامة، وربما يعود السبب في نهي المنظومتين الفقهية والاجتماعية عن إركاب الفرج على السرج أي المرأة على الفرس، دعوة الى تحجب وتستر المرأة عن الرجل، وربما عدّ ركوب المرأة على الفرس طريقة لعرض الجسد ملفتة للنظر بالنسبة للرجال لأنه عمل خارج المنظومة الاجتماعية، هذا من جانب ومن جانب أخر فان المرأة بنظر المجتمع يجب ان تكون منخفضة بالنسبة

---

(1) قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 420.

(2) تاج العروس، 440/13.

(3) كذا في النص.

(4) الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم، مجمع الأمثال، دار الجيل، بيروت، 1987م، 265/2.

(5) الجوهري، الصحاح، 1554/4؛ ابن منظور، لسان العرب، 341/10.

(6) الزبيدي، تاج العروس، 440/13.

(7) قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 421.

(8) السرخسي، شمس الدين، شرح السير الكبير، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، القاهرة، 1960م، 163/1؛ المبسوط، دار المعرفة المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، 89/6؛ الكاشاني، ابو بكر بن مسعود الحنفي، كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المكتبة الحبيبية، باكستان، 1989م، 143/3؛ الزيلعي، جمال الدين، نصب الراية، دار الحديث، القاهرة، 1995م، 437/3.

للرجل ومكانها بمرتبة النزول والانخفاض بالنسبة للرجال فإذا ركبت الفرس ستكون مرتفعة أعلى من الرجال المارين في الطريق[1].

وباعتبار ان المجتمع الإسلامي مجتمع نبذ النساء اللائي يحاولن التشبه بالرجال حتى وان كان مع ذلك التشبه محافظة على خصائص أنوثتها وجمال وجهها وبضاضة وليونة جسمها إلا أن المجتمع رفض كل فعل من شأنه أن يخرج بالمرأة إلى صفات الرجولة، فالقوة والشجاعة والجلد إذا ظهرت من الرجال فهو المطلوب وإذا ظهرت منه هذه الفعال فهي حسنة بالنسبة إليه، وتعد فضائل، وان ظهرت هذه الفعال من النساء فأنها من العيوب لعدم تناسبها مع النساء لأنها خاصة بالرجال بحسب العرف الاجتماعي في المنظومة السائدة.

ولعل من الأسباب التي تؤدي أو تساعد على ظهور مثل هذه المظاهر الشاذة بالنسبة للنساء على قول ابن سينا[2] طريقة الجماع بين الرجل والمرأة ومجرى المني بالنسبة للزوج وجهة ذلك المجرى عنده وعند الزوجة، فان ذلك يعد عاملاً مساعداً في حالة حمل المرأة بجنين نتيجة ذلك التقارب فان كان أنثى فإنها تكون مسترجلة ومذكرة ولديها ميول ذكورية.

اما التعليل الاجتماعي لوجود مثل هذه الظاهرة عند المرأة المذكرة، أو المترجلة، فقد عزاه البعض بأنه تمرد وخروج من الضغوط نحو التحرر، إذ أنها ترى ان الرجل لديه القدرة على التمتع بالحياة دون قيود مثل القيود المفروضة عليها من الحجب والتستر والمنع؛ لذلك فأنها ورغبة منها للخروج من الواقع الحاجر لها إلى حياة الدعة وعدم التحكم بها من قبل الغير، تعمل على تقليد أفعال الذكور وتصرفاتهم وحركاتهم وأقوالهم، وتستعمل الحيلة للحصول على دور في الحياة أفضل من الدور الذي هي عليه، إلا أن ذلك مؤقتا بطبيعة الحال بالنسبة للمرأة المترجلة فبمجرد اكتشافها فأنها سرعان ما ترجع إلى ما هي عليه سابقاً، وما قيامها بهذا الفعل الا تمرد على الانوثة، وبهذا يكون التذكر والترجل تهمة موجهة إلى كل من فارقت وضعها الأنثوي الطبيعي محاولة للارتقاء إلى منزلة أفضل، وهذا الوضع أشد تأثيراً على المرأة نفسها من التشكيك بأنوثتها[3]، ومن المناسب هنا إدراج قصة تدل على ذكاء وفطنة احد الأطباء أيام هارون الرشيد، ذكرها الكاشاني[4]، فقال: فقال: "حكي ان جارية من خواص الرشيد تمطت فلما جائت تمدّ يدها لم تطق وحصل فيها ورم فصاحت وا ألماه، فشقَّ على الرشيد ذلك وعجز الأطباء عن علاجها، فقال طبيب حاذق: لا دواء لها الا ان يدخل اليها رجل أجنبي غريب فيخلو بها ويمرخها بدهن اعرفه، فأجاب الخليفة الى ذلك فاحضر الرجل والدهن وامر بتعريتها فاعريت، واضمر الخليفة قتل الرجل، فلما دخل الغريب اليها وقرب منها سعى إليها واومى بيده الى فرجها ليمسّه، فغطت الجارية فرجها بيدها التي كانت قد عطلت، ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمى جسمها بانتشار الحرارة الغريزية، فأعانت على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يديها في ذلك، فلما غطَت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية، فاخذه الخادم وجاء به الى الرشيد واعلمه بالحال وما اتفق، فقال الرشيد: فكيف نعمل برجل نظر الى حرمنا فمد الطبيب يده الى لحية الرجل فانتزعها فاذا هي ملصقة، واذا الشخيص جارية، فقال ما كنت ابذل حرمك الى الرجال، ولكن خشيت ان تعلم الجارية فتبطل الحيلة لاني اردت ان ادخل الى قلبها فزعا شديدا ليحمى طبعها ويقودها الى تحريك يدها، وتمشي الحرارة الغريزية في سائر اعضائها بهذه الواسطة، ففرح الرشيد واجزل عطيته".

والى جانب هذا الترجل الاختياري وهو التحرر والتمرد على الأنوثة والخروج من طورها إلى عالم الرجولة والذكورة للحصول على المتعة بالخلاص من عالم الحجب والتستر، وهذا النوع مؤقت إذ سرعان ما تزوج المرأة المذكرة المترجلة فترجع إلى الانخفاض والخضوع لممارسة دور الزوجة الأم الحنون، فان هناك نوع ثاني من الترجل يتمثل بالنساء اللواتي لم تكن انوثتهن كاملة لسبب تكويني فسيولوجي من خلال ظهور علامات ودلائل الرجل عليهم مثل نمو الذقن والشارب،

---

[1] قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 421.

[2] الشيخ الرئيس ابو علي، كتاب القانون في الطب، دار صادر، بيروت، د.ت، 1641/2.

[3] قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 421-423.

[4] العباس، موسوعة حدائق الانس في نوادر العرب والفرس، مطبعة الخيام، بيروت، 1400هـ، 150/2.

والشعر بالأماكن التي ينبت فيها الشعر عند الرجال، أو الصوت الخشن الرجولي، ومتى ما اكتشفت المترجلة التي من هذا النوع وضعت بموضع الحرج وأوقعت بأزمة العلاقات الاجتماعية؛ لذلك فان المترجلات من هذا النوع ومحاولة منهن الحفاظ على السر الذي عندهن فإنهن يخترن سلوك التجنب والانزواء وعدم الاحتكاك؛ لان الاحتكاك حركة والحركة تحدث الخطأ الغير مقصود، ربما توقعها بالمحذور ويتم كشفها وبالتالي يقع الحرج المصحوب بنظرات الاستغراب والتعجب والاستنكار؛ لذلك فالمترجلة من هذا النوع تلجأ اضطراراً إلى القيام بدور الرجل للتخلص من غير المألوف فتضطر للدخول إلى عالم الرجال وتعد نفسها واحدة منهم، إذ ليس كل ما في الجسد الأنثوي جميل فهناك أشياء مضادة للأنوثة مثل اللسان السليط والطول المفرط بالقامة والشعر الكثيف والعضلات التي هي رمز القوة فهذه العلامات ذكورية، إذا وجدت في المرأة فيجب رفعها وإزالتها في ظل مجتمع يسعى جاهداً لابقاء المسافة الموضوعة بين الجنسين ثابتة تستبعد أي سبب يولد التقارب بين الجنسين، فليس كل النساء إناثاً كما انهن لسن دائماً في أنوثة كاملة، فالفقر والعوز والحزن وغيرها من العوامل، التي تؤدي إزالة ملامح الجمال من المرأة لعدم اكتراثها بجمالها، فتجدها بعيدة عن الاهتمام بجسدها وجمالها، فالمرأة بحاجة دائماً إلى المباشرة بالاهتمام بأنوثتها وإخضاع الجسد باستمرار لشروط العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، فكلما زادت ملامح الترجل عند النساء وبدت واضحة كلما زاد استهجان واستنكار المجتمع واصبح اشد، كأن تنبت لحية للمرأة فهو أمر مريب منفّر للرجال لأن اللحية من دلائل ورمزيات الذكورة والتي يتباهى بها الرجال[1]، وبهذا الخصوص ساق الجاحظ[2] نصاً قال فيه: "كان لابنة من بنات محمد بن راشد الخناق[3] لحية وافرة[4]، وانها دخلت مع نساء متنقبات إلى بعض الأعراس لترى العرس وجلوة العروس، ففطنت لها امرأة، فصاحت رجل والله، وأنهال الخدم والنساء عليها بالضرب، فلم تكن لها حيلة إلا الكشف عن فرجها"، وهذا دلالة على انه لا يوجد أفصح من العضو التناسلي لتبيين وتحديد الهوية الجنسية.

وأورد التيفاشي[5] قولا بخصوص هذا النوع من النساء فقال: "وقد تجد في النساء مذكرات كما تجد في الرجال مؤنثين حتى يبلغ الأمر بالنساء المذكرات في ذلك الى ان يقل حيضهن ولا يحضن، وربما نبت لهن اللحى، وقد رأيت لحى وشوارب ضعيفة في كثير من النساء، ورأيت مرة واحدة لحية وافرة على امرأة من النساء الأكراد جيء بها الى المعتضد أعجوبة"، وسجل الحموي[6]، حادثة بهذا الخصوص فقال: "كان على رأس الأربعمائة بتطيلة[7] امرأة لها لحية كاملة كلحية كلحية الرجال، وكانت تتصرف في الأسفار كما يتصرف الرجال حتى أمر قاضي الناحية القوابل بامتحانها، فتمنعت عن ذلك، فاكرهنها فوجدنها امرأة، فأمر القاضي بحلق لحيتها وان لا تسافر إلا مع ذي الحرم".

---

(1) قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 423.

(2) كتاب الحيوان، 66/1.

(3) محمد بن راشد الخناق: كان معاصرا للمأمون العباسي وابراهيم بن المهدي، وقد روى عن ابراهيم بن المهدي بعض القصص ذات العلاقة بالحرب الاهلية بين الامين والمأمون. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 227/56. وكان من المقربين لزبيدة زوجة هارون الرشيد وكانت تراسله وتمازحه بالرسائل. ينظر: ابن حيان، محمد بن خلف، اخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، د.ت، 267/3.

(4) روى السيد نعمة الله الجزائري (ت:1112هـ) رواية عجيبة آلينا ان نذكرها في الهامش لانها حدثت خارج الاطار الزمني للبحث، حيث انه يصف مبيته مع مجموعة من رفاق سفره حيث باتوا في احدى القرى المسماة بـ: الهارونية، نسبة الى الخليفة هارون الرشيد الذي بناها، والواقعة بالقرب من كرمانشاه وهم قاصدين اصفهان حيث باتوا فيها. فقال: "... فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس وخرجنا إلى الحوش، وجاءنا أهل تلك القرية يبيعون علينا الخبز وغيره، فأتت الينا امرأة منهم وكان لها لحية طويلة نصفها بيضاء ونصفها سوداء فتعجبنا منها". نور البراهين، تحقيق: السيد مهدي رجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، 1417هـ، 17/1 .

(5) التيفاشي، شهاب الدين احمد، نزهة الالباب فيما لا يوجد في أي كتاب، تحقيق: جمال الدين جمعة، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1992م، 303.

(6) معجم البلدان، 33/2.

(7) تطيلة: بالضم ثم الكسر، وياء ساكنة، ولام، مدينة بالاندلس الى الشرق من قرطبة. ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1954م، 264/1. وبينها وبين سرقسطة خمسون ميلا. الإدريسي، الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م، 554/2.

وسجل التيفاشي[1] رواية اخرى غريبة بخصوص المرأة المذكرة او المترجلة او ما يمكن ان نصطلح عليها اسم: المتحولة، فقال: "وما يحكيه كثير من الناس ان امرأة ولدت أولادا ثم ظهر لها بعد ذلك ذكر [قضيب ذكري، او آلة الرجل]".

ومن النصوص السابقة يتضح ان قلة الحيض علامة ودلالة انتقالية بشكل تدريجي الى الجنس الثاني، كما ان انقطاعه عند بعضهن دلالة واضحة على ذلك التدرج الانتقالي، اذ ربما من انقطع عندها الحيض كانت بالأساس تحيض ثم قل حيضها شيئا فشيئا حتى وصلت الى مرحلة انقطاع الحيض، وهي مرحلة رمزية عند الذكور اذ أنهم لا يحيضون، كما ان نبات الشعر القليل في اللحى والشوارب ربما هو الآخر مرحلة انتقالية الى الرمزية الذكورية حيث اللحى الوافرة عند الرجال، وما النصوص السابقة التي أكدت وجود اللحى الوافرة عند بعض النساء، والنص الذي تحدث عن المرأة الكردية ذات اللحية الوافرة والتي جيء بها الى الخليفة المعتضد الا دلالة على الانتقال التدريجي بمراحل من عدم وجود لحى، ثم نبات قليل بمنطقتي الذقن والشارب، ثم لحى وافرة، وهي الدلالة الرمزية للترجل، الأمر الذي ربما يدعم ما ذهبنا اليه من القول بان ظاهرة ترجل المرأة ربما تمر عند البعض بادوار الانتقال الى الجنس الثاني، عن ظهور قضيب ذكري عند امرأة كانت قد انجبت ابناء خلال المدة السابقة من عمرها، كما ان الرواية لا تدعي يتم هذه الحادثة بل قال صاحبها: فقد جاء هذا الخبر وامثاله من وجوه كثيرة، وهو كلام يدل على تكرار مثل هذا الامر بوجوه كثيرة حسب النص.

ومن الجدير بالذكر هنا ان المنظومة الفقهية الراصدة للشذوذ قد حكمت بخصوص المرأة الشعرانية أحكاما فقهية، للمحافظة على الثوابت التي يمكن من خلالها التمييز بين الجنسين، فالمرأة ذات اللحى والذقن والجسد الشعراني، اختلف بوجوب او استحباب[2] إزالة شعرها، في حين يوجد من ذهب الى عدم جواز ذلك أي عدم جواز إزالة الشعر منطلقين من قاعدة عدم التغيير لخلق الله تعالى[3]، لكن الأغلب منهم ذكروا استحباب إزالة الشعر من الوجه خصوصا للمحافظة على سهولة التمييز بين الجنسين.

ان التركيز على المرأة الشعرانية التي تظهر في وجهها علامات ذكورية لا يعني عدم وجود علامات أخرى نحو استهجان صوت المرأة وشدته وغلاضته والقامة المفرطة بالطول، وعزى البعض ان دوافعه يعود لعوامل فزيولوجية مثل اضطراب الهرمونات وعدم التوازن بين نسبة الانثوية منها والذكرية، الأمر الذي يؤدي إلى تغلب الخصائص الذكورية على الأنثوية، وبين ما هو مرتبط بالظروف الاجتماعية كشدة الحجاب أو النبذ أو العوز خصوصاً إذا كان العوز عند امرأة مرملة فانه يساعد أحياناً إلى تبني القيم الذكورية والاضطلاع بدور الذكر والقيام بمهامه كتأمين العيش لأبنائها والدخول إلى عالم الرجال الأمر الذي يتطلب منها حماية نفسها بان تكون متشابهة معهم بتصرفاتهم، كذلك للاضطرابات النفسية دور في جعل المرأة مذكرة مثل طريقة التنشئة كتفضيل الذكور على النساء في المجتمعات القبلية، الأمر الذي يؤدي احياناً إلى لجوء الأهل الذين لم يرزقوا بولد ذكر إلى تربية بناتهم تربية ذكورية محاولين إفهامهن بأنهن ذكر وإفهام القبيلة بانهن ذكور، خصوصاً إذا كانت الأم لا تلد إلا البنات، فتحاول ان تربي ابنتها تربية ذكورية لتحل محل زوجها المتوفى في البيت، ونتيجة للتعود على العوز وشظف العيش وصعوبة الحياة فان المترجلة وبعد اندماجها مع مجتمع الذكور على أنها رجل فأنها وبعد مرور الوقت تتنكر لجسدها الأنثوي وتتطبع على الوضع الجديد فتتحول مشاعر الأنوثة والخجل عندها إلى شعور بالراحة والإحساس بالانتصار والزهو، فتشعر باللذة والمتعة بتمثيل دور الرجل ونجاحها في ذلك يزيدها إصراراً على التمسك بالترجل وتتحول إلى مذكرة[4].

ومع كل ما تفعله المرأة المترجلة من فِعال وانطباعات الذكور، فان المنظومة الاجتماعية لها بالمرصاد ولا يمكن للمرأة ان تتحول إلى رجل، بل هي صورة غير واضحة للرجولة والذكورة، فخروج المرأة عن الحجاب والخدر الذي فرضه عليها

---

[1] التيفاشي، نزهة الالباب فيما لا يوجد في أي كتاب، 303.

[2] الرعيني، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، مواهب الجليل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، 314/1.

[3] النووي، محي الدين ابو زكريا، المجموع، دار الفكر، بيروت، د.ت، 290/1.

[4] قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 424، 426.

النظامين التشريعي والاجتماعي وأصبحت نشيطة وسريعة بحركتها وتمتطي الفرس وتقطع الفيافي، فان ذلك وصف مذموم ومعيب على المرأة ويعد خللاً واضحاً، وعند مواجهتها المصاعب والشدائد فإنها لا يقال عنها امرأة شجاعة بل يصح القول: "رجل شجاع ولا توصف به المرأة"[1].

فالنساء بطبيعة الحال يوصفن بالنقص والعوز مهما كانت القوة في التحدي للدخول في عالم الذكور ومتى ما أقدمت المرأة على سد النقص الموصوفة به متخذة الترجل وسيلة لذلك، فانها تتعرض للتهميش وتعتبر شذوذاً اجتماعياً واضحاً[2].

وهنا لابد من القول بان ترجل المرأة سواء أكان اختيارياً أو إجبارياً اضطرارياً فانها بكلتا الحالتين لا يمكنها مواجهة المنظومة الاجتماعية والحصول على الموافقة منها على ذلك الفعل، ولكنها تعمل بترجلها متخفية ومتنكرة، وما ان يكتشف أمرها حتى تجبر على التزيي بزي النساء وإلحاقها بهن قصراً، وإلا فان بقاءها على ترجلها مع معرفة المنظومة الاجتماعية وعلمها بذلك فأنها بهذه الحالة لا يمكنها التعايش مع المجتمع بل تهمّش وتلفظ منه بقوة، وبالتالي فان المجتمع يفهمها بخروجها عن وظيفة الأنوثة والتمرد عليها رافضة القيام بواجبها كأمراة وبطبيعة الحال لا يمكن لأحد من الرجال ان يقبلها كزوجة، لعدم توفر الصفات المحمودة التي يبحث عنها الرجل في المرأة، وقد حذر المجتمع من الزواج والاقتران بالمرأة المذكرة، كما ان التراث الإسلامي نقل روايات تحذر وتنهى عن الاقتران بالمرأة المترجلة او المذكرة، ومن هذه الأقوال ما تنهى عن الزواج بالمرأة المترجلة او (المذكرة)، فقالوا: "إياكم وكل ذكرة مذكرة"[3]، وقال ابن قتيبة الدينوري[4]: "قال الاصمعي قال ابن الزبير... ايّاكم والمذكرة فإنها لا تنجب"، ومما نقله التراث الإسلامي بهذا الخصوص رواية للجاحظ[5] قال فيها: "قال عثمان بن الحكم: كان عندنا في الحي امرأة مذكرة، لرجل مؤنث: فما رأيت ولا سمعت بخلق رديء عن أخلاق البغال[6]، إلا وقد رأيته فيه"، وذكر سبب ذلك ابن قتيبة[7] بقوله: "قالوا: وابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال الرجال أخبث ما يكون، لأنه يأخذ بالخبث خصال أبيه وخصال أمه".

ويمكن القول ان المذكرة من النساء تفرط بالكثير من خصال الأنوثة وتكسب الكثير من فعال الرجال فتبقى ذات شخصية متأرجحة بين الرجال والنساء، وبالتالي فان هذا ينعكس على فعالها وتصرفاتها ويصعب إخضاعها وإعادتها إلى نصاب الأنوثة من جديد؛ لذلك فان النظرة إليها هي نظرة الذم والاستقباح لتطلعها إلى قيمة ليست لها، وهكذا تجد نفسها لا مكان لها بين الرجال ولا حتى في عالم النساء، إذ أن عالم النساء يخشى المرأة المذكرة ويخاف على النساء من المرأة المترجلة أو المذكرة خوفاً من تسرب العدوى إلى الأخريات.

النتائج

من خلال ما تم تثبيته بطيات البحث يمكن استنتاج ما ياتي:

1- ظهرت العديد من المظاهر السلبية في المجتمعات الإسلامية، ومن هذه المظاهر ظاهرتا المترجلة والخصي، ولا بد من القول ان هاتان الظاهرتان لم تكونا وليدتا المجتمع الاسلامي، بل كانتا لهما جذور تاريخية موغلة بالقدم تعود الى الحضارات القديمة.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، 173/8 (مادة شجع).

(2) قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 427.

(3) الزبيدي، تاج العروس، 443/6.

(4) ابو حنيفة الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1925م، 3/2/2.

(5) رسائل الجاحظ، 2/

(6) أخلاق البغال: بهذا الخصوص يراجع: الجاحظ، رسائل الجاحظ، 159/2–280 كتاب البغال.

(7) كتاب عيون الأخبار، 65/2/2.

2- كان للمنظومتين الفقهية والاجتماعية الموقف الرادع والصلب المضاد لظاهرتي الخصاء والترجل باعتبارهما من الامراض الدينية والمجتمعية، فصرحت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المباركة بعدم جواز القيام بذلك ناهيك عن موقف المجتمع الناضر لتلك الفعال النظرة الطاردة والنابذة، الا ما كان من ذلك الفعل جواز القيام به، كالتشبه المسموح به بالملابس والذي اشرنا اليه في صفحات البحث وهو تشبه يجوز القيام به لتحقيق هدف معيّن.

3- كان للمختصين في رصد هاتين الظاهرتين الموقف المحدد لأسباب حدوثهما، فالأحاديث النبوية بينت أسباب حدوث مثل تلك الظاهرة، والأطباء تناولوا كذلك ما وقف من أسباب لحصولها مع أشخاص معينين دون غيرهم، كذلك منهم من ذهب الى الأسباب الاجتماعية التي دعمت حصول مثل هذه المظاهر السلبية، وبالتالي فان تحديد الداء يسهل من توصيف الدواء.

4- تم بالمتابعة والتقصي للمصادر التاريخية والفقهية والأدبية تحديد مجموعة من أسماء الأعلام ممن اصيب بهذا المرض الاجتماعي الخطير، ورصد مثل هذه الاسماء وذكرها لا لشيء الا لإثبات وجود هذه المظاهر وقيامهم بها تدعيما للبحث، وليس الغاية من ذكرهم التقليل من شانهم، اذ ان الكثير منهم كان ايجابيا وفعالا في مجالات حياتية اخرى.

5- واخيرا لابد لنا من القول ان تناول مثل هذا الموضوع لا يعني ان هذه المظاهر كانت غالبة في المجتمعات الإسلامية، بل أردنا من وراء البحث بهذا الموضوع ايجاد المعالجات؛ وذلك للحد من هذه الظاهرة (الترجل) الموجودة اليوم وبكثرة في مجتمعنا الحالي، والتاريخ درس لاولي الالباب.

6. تداخل مفردة الخصاء مع مرادفات اخرى ذات علاقة بها كالمجبوب او الممسوح والمسلول والعنّين وغيرها.

7. تعد ظاهرة الخصاء من الظواهر السلبية التي تعمل على التغيير النفسي والجسدي للانسان المخصي.

8. حرمت الديانات التوحيدية الخصاء لما له من انعكاسات على حياة الانسان بشكل خاص وعلى جميع المخلوقات التي يطبق عليها هذا العمل.

9. بالرغم من تحريم الديانات التوحيدية لهذا العمل الا ان عدد كبير من اتباعها ومعتنقيها لم يلتزم بذلك، ومارسوا الخصاء وبكل قسوة.

10. للخصاء جذور تاريخية موغلة بالقدم، اذ يرجع تاريخها الى العصور الآشورية والبابلية القديمة.

11. المصدر الرئيس الممول للخصيان هو الحروب، اذ يتم خصاء الاسرى ومن ثم بيعهم، الا ان هذا لا يعني انها المصدر الوحيد بل توجد مصادر ممولة عديدة اخرى.

12. الفائدة المادية واحدة من غايات الخصاء، مع وجود من طلب ان تمارس معه عملية الخصاء خوفا من الوقوع بالرذيلة وارتكاب المعاصي.

13. يتحول المخصي من اطباع الرجال الى اطباع النساء والاطفال ويطبع بذلك، فهو مع الرجال امرأة ومع النساء فحل.

13. يمكن للمخصي ممارسة الجنس مع النساء، الا انه لا يصل الى اللذة الجنسية، مع قدرته على المطاولة بالجماع اكثر من الفحل الاعتيادي، وسبب ذلك هو عدم وصوله الى مرحلة الانزال التي تعقبها الارتخاء والفتور.

14. استخدام الخصيان في القصور كخدم في قصور الملوك وارباب الدولة، الامر الذي انسحب الى استخدام اغنياء الناس اليهم في منازلهم لاغراض الخدمة.

15. عند اجراء مقارنة بين الانسان المخصي والحيوان المخصي، فان الانعكاس سلبيا على الانسان دون الحيوان المأكول اللحم الذي تكون نتائج الخصاء معه ايجابية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

ابن الاثير، علي بن ابي الكرم الجزري (ت:630هـ/1232م).

. اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

. الكامل في التاريخ، دار صادر، 1966م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت:606هـ/1209م).

. النهاية في غريب الحديث، تحقيق: محمود محمد الطناجي، ط4، 1944م.

الأحمدي، فهد عامر.

. دور الخصيان في العصر العباسي، مقال منشور على موقع الكتروني اسمه منتديات فوست.

الإدريسي، الشريف (ت:560هـ/1164م).

. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م.

الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت:356هـ/966م).

. الأغاني، تحقيق: لجنة مطبعة دار الكتب العلمية، طبع دار الكتب، القاهرة، 1961م.

ابن انس، مالك(ت:179هـ/795م).

كتاب الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت . 1985م).

الباز، محمد.

. حدائق المتعة فنون الجنس عند العرب، WWW.Ktobarabia.com.

باقر، طه.

. قانون لبت عشتار، قانون مملكة اشنونا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.

ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني (542هـ/1147م).

. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

البيهقي، احمد بن الحسن بن علي (ت:458هـ/1065م).

. السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، د.ت.

ابن تغري بردي، ابو المحاسن الاتابكي.

. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزراة الثقافة والإرشاد القومي، (مصر، د.ت).

التنوخي، ابو علي المحسن بن علي (ت:384هـ/994م).

. نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

التيفاشي، شهاب الدين احمد.

. نزهة الالباب فيما لا يوجد في أي كتاب، تحقيق: جمال الدين جمعة، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1992م.

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت:255هـ/868م).

. كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1968م.

. رسائل الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

الجزائري، السيد نعمة الله (ت:1112هـ/1700م).

. نور البراهين، تحقيق: السيد مهدي رجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، 1995م.

ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:597هـ/1200م).

. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة دار المعارف، حيدراباد، 1940م.

الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت:393هـ/1002م).

. الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

أبو حبيب، د. سعدي.

القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق، 1408هـ.

ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان (ت:739هـ/1338م).

. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/1993م.

ابن حبيب، محمد البغدادي (ت:245هـ/854م).

. كتاب المنمّق، علق عليه خورشيد احمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1963م.

ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (ت:852هـ/1448م).

. الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

الحربي، ابو اسحاق ابراهيم بن اسحاق (ت:258هـ/871م).

. غريب الحديث، تحقيق: سلمان ابراهيم العاير، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي، جدة، 1984م.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت:626هـ/1228م).

. الحموي، معجم الأدباء، ط2، دار الفكر، بيروت، د.ت.

. معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

الحنفي، ابن تميم (ت:970هـ/1562م).

. البحر الرائق، شرح كنز الدقائق، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب المصرية، بيروت، 1996م.

ابن حنبل، احمد (ت:241هـ/854م).

. مسند احمد، دار صادر، بيروت، د.ت.

ابن حيان، محمد بن خلف (ت:306هـ/918م).

. اخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

ابو حيان الاندلسي، ابو عبد الله محمد بن يوسف (ت:745هـ/1344م).

. تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد (528هـ/1134م).

. مطمح الانفس ومسرح التأنس في شعر اهل الاندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

الخالدي، خالد يونس.

. الترف في المجتمع الاسلامي الاندلسي (92-668هـ/711- 1269م)، رسالة ماجستير في الجامعة الاسلامية، غزة، 1431هـ/2010م.

الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت:463هـ/1070م).

. تاريخ بغداد او مدينة السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، 1930م.
ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت:681هـ/1282م).
. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م.
الخوارزمي، الموفق بن احمد المكي.
المناقب، تحقيق: مالك الحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، 1990م.
الدوري، رياض عبد الرحمن أمين.
. آشور بانيبال (669-627ق.م)، سيرته وانجازاته، بغداد، 2001م.
الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت:748هـ/1347م).
. تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.
. تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
. سير أعلام النبلاء، تحقيق: مأمون الصاغرجي، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
الرعيني، ابو عبد الله محمد بن محمد المغربي (ت:954هـ/1547م).
. مواهب الجليل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ/1108م).
. المفردات في غريب القرآن، ط2، مطبعة دفتر، 1983م.
الزبيدي، محمد مرتضى (ت: 1205هـ/1790م).
. تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
الزركلي، خير الدين.
. الاعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
الزيات، حبيب.
. المرأة الغلامية في الإسلام، مجلة المشرق، عدد/50 لسنة 1956م.
الزيلعي، جمال الدين (ت:762هـ/1360م).
. نصب الراية، دار الحديث، القاهرة، 1995م.
ساغز، هاري.
. عظمة آشور، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو، دار رسلان، دمشق، 2001م.
السبكي، عبد الوهاب بن علي (771هـ/1369م).
. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، بيروت، د.ت.
السرخسي، محمد بن الحسن الشيباني (ت:483هـ/1090م).
. شرح السير الكبير، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، القاهرة، 1960م.
. المبسوط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.
ابن سعد، محمد بن منيع.
. الطبقات الكبرى، مطبعة ليدن، 1919م.
ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (685هـ/1286م).
. المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م.
سليمان، د. عامر.

. القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.
. شريعة حمورابي الأولى ترجمة عربية، ترجمة: عبد المسيح وزير، مطبعة بيت الحكمة، بغداد، 2007.
السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد (ت:562هـ/1166م).
. الانساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988م.
ابن سينا، الشيخ الرئيس ابو علي (ت:428هـ/1036م).
. كتاب القانون في الطب، دار صادر، بيروت، د.ت.
السيوطي، الشيخ جلال الدين (ت: 911هـ/1505م).
. تاريخ الخلفاء، تحقيق: لجنة من الادباء، دار التعارف، بيروت، د.ت.
. الدر المنثور، نشر دار المعرفة، مطبعة الفتح، جدة، 1945م.
الشالجي، عبود.
. موسوعة العذاب، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999م.
الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت:548هـ/1153م).
. الملل والنحل، تقديم: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2008م.
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:1255هـ/1839م).
. نيل الاوطار، دار الجيل، بيروت، 1973م.
ابن شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد بن عثمان (ت:235هـ/849م).
. المصنف، تحقيق: سعد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1989م.
الصفدي، خليل بن آيبك (ت:764هـ/1362م).
. الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.
الصنعاني، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (ت:211هـ/826م).
. تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم حمد ،مكتبة الرشيد، الرياض، 1989م.
. المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، منشورات المجلس العلمي، دون مكان وتاريخ طبع.
الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد (ت:360هـ/970م).
. المعجم الكبير، تحقيق: مهدي عبد المجيد السلفي، دار احياء التراث العربي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
. المعجم الأوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.
الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ/922م).
. تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
. جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م.
. المنتخب من كتاب ذيل المذيّل من تاريخ الصحابة والتابعين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1939م.
الطريحي، محمد بن علي (ت:1085هـ/1674م).
. مجمع البحرين، تحقيق: احمد الحسيني، ط2، مكتبة نشر التفاهم الاسلامي، 1987م.
ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت:739هـ/1338م).
. مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1945م.
العجلوني، اسماعيل بن محمد الجراحي (ت:1162هـ/1748م).
. كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
ابن عدي، ابو احمد عبد الله (ت:365هـ/975م).

. الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: د.سهيل زكار، ط3، دار الفكر، بيروت، 1985م.
ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين الشافعي (ت:571هـ/1175م).
. تاريخ مدينة دمشق الكبير، تحقيق: د. علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1996م.
العيني، ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد (ت:855هـ/1451م).
. عمدة القاري، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
ابن فارس، ابو الحسين احمد (ت:395هـ/1004م).
. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1983م.
الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت:175هـ/791م).
. كتاب العين، ط2، مؤسسة دار الهجرة، طهران، 1988م.
. كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط2، مطبعة صدر، 1988م.
الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي (ت:814هـ/1411م).
. القاموس المحيط، دار العلم للملايين، (بيروت . د.ت).
ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت:276هـ/889م).
. الإمامة والسياسة المسمى بـ: تاريخ الخلفاء، تحقيق: علي شيري، مطبعة امير، 1992م.
. عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1925م.
قرامي، آمال.
. الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية، دار المدار الاسلامي، بنغازي، 2007م.
ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت:276هـ/889م).
. المعارف، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت:671هـ/1272م).
. الجامع لاحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.
قلعجي، حميد.
. معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، بيروت، 1988م.
الكاشاني، ابو بكر بن مسعود الحنفي (ت:587هـ/1191م).
. كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المكتبة الحبيبية، باكستان، 1989م.
الكاشاني، العباس.
. موسوعة حدائق الانس في نوادر العرب والفرس، مطبعة الخيام، 1979م.
الكتبي، محمد بن شاكر (ت:764هـ/1362م).
. فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد يعوض الله، وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت:774هـ/1372م).
. البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
كحالة، د. عمر رضا.
. اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ط2، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1959م.
ابن ماكولا، الامير هبة الله (475هـ/1082م).
. إكمال الكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في اسماء الكنى والانساب، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت:975هـ/1567م).

. كنز العمال في السنن والاقوال والافعال، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م.

متز، آدم.

. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط2، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م.

المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف (ت:742هـ/1341م).

. تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت:346هـ/957م).

. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، دار الهجرة، 1984م.

مسكويه، ابو علي الرازي (ت: 421هـ/1030م).

. تجارب الأمم، تحقيق: د.ابو القاسم امامي، دار سروش للطباعة والنسر، بيروت، 1997م.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت:380هـ/990م).

. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1906م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت:845هـ/1441م).

. كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بـ: الخطط المقريزية، اوفست، مكتبة المثنى، بغداد، 1970م.

المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (ت:1031هـ/1621م).

. فيض القدير، شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، تصحيح: احمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت:711هـ/1311م).

. لسان العرب، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1984م.

الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم.

. مجمع الأمثال، دار الجيل، بيروت، 1987م.

ابو نؤاس، الحسن بن هاني (ت:195هـ/810م).

. ديوان ابو نؤاس، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م.

. النصوص المحرمة، مطبعة رياض الريس للكتب، لندن، 1994م.

النحاس، ابو جعفر (ت: 338هـ/949م).

معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى، الرياض، 1988م.

النسائي، احمد بن علي.

. سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، 1930م.

النويري، شهاب الدين احمد بن عبدوهاب (ت:733هـ/1332م).

. نهاية الأرب في فنون الادب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت.

الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت:350هـ/961م).

. الإكليل، تحقيق: محمد بن الاكوع، ط3، منشورات المدينة، 1407هـ/1986م.

الوزان، ليون الافريقي.

. وصف افريقيا، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983م.

ابو يعلى الموصلي، احمد بن علي المثنى التميمي (ت:307هـ/919م).

. مسند ابي يعلى، تحقيق: حسين سليم اسد، دار المأمون، دمشق، 1987م.

- H W .F .Saggs. The Greatness That was Babylon . London-1966

-V.Maitzam,Me in Wall Fahrt nach Mekka.1865

- Kataja,L,and Whiting R, Grants,Decres and Gifts of The Neo-Assyian Period,Saa

-Oates, J,The Fall of Assyria (635-609 B.C) , Cah

-Penheim,A,Leo,Babylonian and Assyrian Historical Text,Aneet

-Dozy,Gesch,der Mauren in Spaine,

-Krauss,Talmudische Archaoljie

-Fursa Puckier,Aus Mehmed Ali . Reich